الجمهوريـــة الجزائـرية الديمقراطية الشـعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم
كلية الآداب والفنون

FLAA
كلية الآداب واللغات والفنون
Faculty of arabic literature and Arts

شعبة : الدراسات اللغوية

تخصّص: اللسانيات لتطبيقية

البعد الدلالي والتداولي لقواعد النحو العربي بين الممارسة و الإتقان

رسالة ماستر مُقدّمة لنيل شهادة الماستر
تخصص : اللسانيات التطبيقية

إعـداد الطالب
بوداود نورالدين

إشراف الأستاذ لدكتور
بن عائشة حسـين

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
فريحي مليكة	أستاذ التعليم العالي	جامعة مستغانم	رئيسا
بن عائشة حسين	أستاذ التعليم العالي	جامعة مستغانم	مشرِفا ومُقرّرا
دحماني نور الدين	أستاذ التعليم العالي	جامعة مستغانم	عضوا مناقِشا
يايوش جعفر	أستاذ محاضر (أ)	جامعة مستغانم	عضوا مناقِشا

السـنة الجـامـعيـــة : **2023 - 2024**

بن عائشة حسين
أستاذ التعليم العالي
جامعة عبد الحميد بن باديس
- مستغانم -

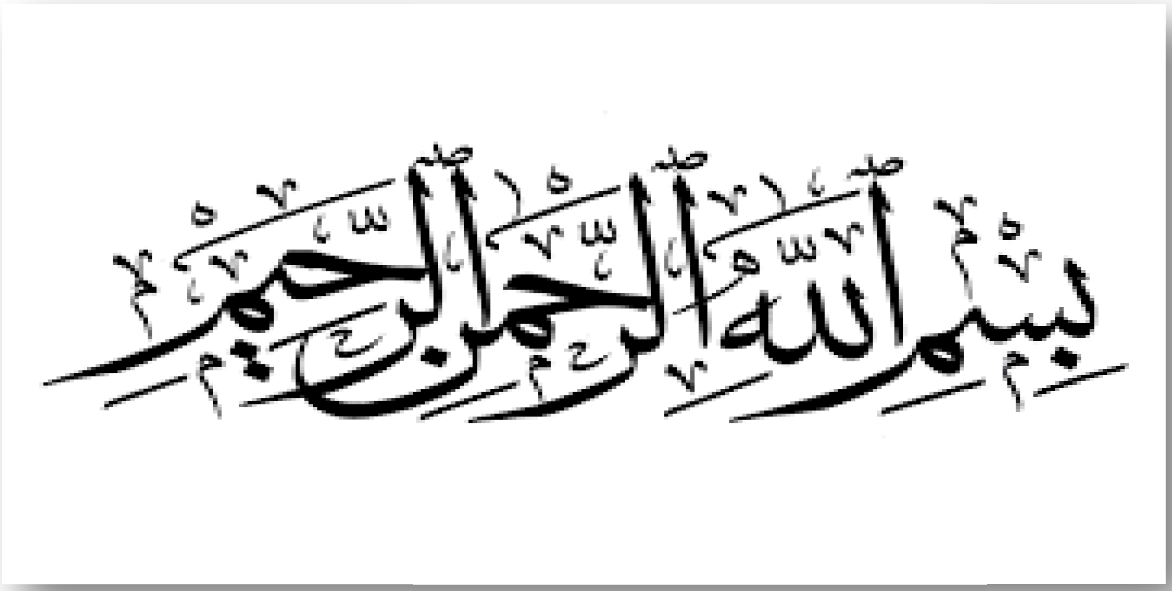
بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

إلى .....

والديَّ الكريمين، أبي أطال الله في عمره وأمّي رحمها الله...

إلى أخـــواتي وإخـــواني

أصدقائي

وزملائي

إلى كل عاشقٍ للغة القرآن

إلى كل من أحبُّ ومن يكنّ لي الحب

إليكم جميعا أهدي ثمرة عملي

شـــكر وعـــرفان

الحمد لله على نعمائه ، والصلاة والسلام على صفوة خلقه وأنبيائه، وعلى آله وأصحابه وبعد :

يطيبُ لنا وقد منّ الله علينا بإتمام هذه المذكرة أن نردَّ الجميل إلى أهله ، وننسبَ الفضل إلى ذويه ، فنشكر الله أولا وآخرا على نعمه العظيمة وعلى ما يسّر لنا لإنجاز هذه المذكّرة فله الحمدُ والثناء إلى يوم يبعثون .

كما نتقدّمُ بجزيل الشكر والتقدير للصرح العلمي الشامخ بجامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم ، كما نقدّمُ شُكرنا لكلّية الأدب العربي والفنون والشكر موصولٌ لقسم الأدب .

وبأصدق العبارات وأوفاها نتقدّم بالشكر والتقدير لأستاذنا الدكتور الفاضل " بن عائشة حسين " المشرفِ على هذه المذكّرة على ما أولانا من اهتمام ، ونصحٍ ، وإرشادٍ فجزاه الله عنّا خيرَ الجـــزاء .

كما لا يفوتنا أن نتقدّم بجزيل الشكر والامتنان لكلّ من ساهم في إنجاز هذا البحث ولو بالدعاء.

وأخيرا أسأل الله العظيم أن نكون قد وُفِّقنا في هذه الرسالة

والحمدُ لله ربِّ العالمين .

مقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله ، المبعوثِ بالرحمة سيّدنا محمد عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أمّا بعد :

تُعدُّ اللغة العربية منذ أقدم العصور من بين اللغات التي جعلت لنفسها مكانة مرموقة بين شعوب العالم ، ورغم أنّ هنالك الكثير من اللغات التي اندثرت واضمحلّت مع مرور التاريخ إلّا أنّ العربية بقيت صامدةً مجاهدة وستبقى كذلك إلى أن تفنى البشرية جمعاء ، لأنّها تحت ظلِّ القرآن وتحتوي على الكثير من العلوم كالصرف والنحو والدلالة وغيرها ، و قد صارت في الوقت الراهن محلّ أنظار الكثير من العلماء من مختلف الجنسيات لتشعُّبها وتميُّزها، بغضِّ النظر عن النحاة القدامى الذين ما تركوا منها حرفا إلا وبحثوا فيه .

إنّ من بين أهمِّ العلوم التي أحاطت باللغة العربية علم النحوِ الذي حاول تصحيح منطقِ العرب وتوجيه غيرهم إلى كيفية تعلّم العربية منذ اختلاطهم بالأعاجم ، إلّا أنّ في الوقت الراهن صار النحو العربيُّ مجرّدا مستبعدا للعلوم الأخرى ، ومن هذا ارتأينا معالجة هذا الموضوع الذي هو تحت عنوان **" البعد الدلالي التداولي لقواعد النحو العربي بين الممارسة والإتقان "**تحت ظلِّ التساؤلات الآتية :

ما هو علم الدلالة ؟ وما هي التداولية ؟ وما العلاقة القائمة بينها وبين النحو العربي ؟ وكيف يمكن الاستعانة بها في تيسيره؟

يجد الكثير من الطلبة والمتعلّمين صعوبات كبيرة وعراقيلَ لا متناهية في تعلّم النحو العربي ومنهم من لا يستطيع تعلّمه البتّة ، مع تفشّي اللحن والأخطاء النحوية والصرفية بين المجتمع وذلك راجعٌ إلى تجريد النحو العربي من تداخله مع العلوم المعرفيّة الأخرى كالدلالة والتداولية ، وكان هذا أهمّ سببٍ جعلنا نختار هذا الموضوع إضافة إلى قلّة الدراسات من طرف الطلبة الباحثين فيه، كما أنّ الدافعَ الأسمى وراء انتقاء هذا الموضوع هو تنبيه المتعلّمين إلى ضرورة التعلّم الصحيح للنحو العربي فهما واستيعابا إضافة إلى الحفظ ، أمّا بالنسبة لدوافع اختيار عيّنة النصّ المطبّق عليه هو ثراء خطابات الشيخ الإبراهيمي وتمتّعها بالسلاسة اللغوية والبلاغة الكلامية ما يساعدُ على تبسيط العلاقة بين أطراف الموضوع .

وكان هدفنا من هذا البحث إظهارُ العلاقة بين عِلمي الدلالة والتداولية وعلمِ النحو العربي وتوضيح التداخل بينهم ، ولعلّ من بين الأهداف أيضا محاولةُ تيسير تعلّم النحو لدى الطلبة وحتى الباحثين من أجل إتقانه وتعليمه للأجيال القادمة ، كما أنّ الهدف الأسمى من وراء هذه الدراسة هو حُبّ العربية لأنّ حبّها سُنّة نبوية ولأنّها لغةُ القرآن ولغةُ العرب ولغة أهل الجنّة وبالتالي الرغبةُ الشديدة في خدمتها وإعلاء شأنها بين الناس .

وقد تمظهرَ بحثُنا هذا بعد مقدّمةٍ للموضوع في مدخلٍ تحدّثنا فيه عن نشأة النحو العربي وأسباب وضع قواعده كما تحدثنا عن واضعه إضافةً إلى أهمِّ أعلامه مرورا على أهمّ المناهج الحديثة المساهمة في تيسيره، ويليه الفصلُ الأوّل الذي عنوناه بـ " البعد الدلالي لقواعد النحو" وقد احتوى على ثلاثة مباحث ، أوّلُها تحدّثنا فيه عن ماهية الدلالة وأهمّ مخرجاتها وفي الثاني رصدنا العلاقة بين النحو والدلالة ، أمّا آخر مبحثٍ فقد كان عبارة عن تطبيقٍ احتوى على تحليل نصٍّ من خُطبة الشيخ الأديب الأريب البشير الإبراهيمي تحليلا نحويا انطلاقا من دلالاته، ويليه الفصلُ الثاني الذي هو الآخر تضمّنَ ثلاثة مباحث أوّلُها تعرّفنا فيه على ماهية التداولية وأهمّ مباحثها ، وتناولنا في المبحث الثاني العلاقة التي تربط النحو العربيَّ بالتداولية مرورا على آخر مبحث هو الآخر تضمّن تطبيقا حلّلنا فيه الجزء الثاني من نصٍّ خطبة البشير الإبراهيمي تحليلا نحويا انطلاقا من مباحثه التداولية .

وأخيرا انتهينا إلى خاتمةٍ خلُصنا فيها إلى أهمّ النتائج المتوصّل إليها والتي كانت عبارة عن إجابات للأسئلة التي عرضنا في المقدّمة إضافة إلى نتائج أخرى .

واقتضت طبيعة الدراسة ، اعتماد المنهج الوصفي القائم على التحليل والاستقراء والإحصاء لملاءمته طبيعة البحث وأهدافِه وخاصة الجوانب التطبيقية منه وذلك لوصف قواعد النحو وصفا دلاليا وتداوليا لتقريبها إلى المتعلّمين والباحثين والوقوفِ على وصف العلاقة بينها .

وقد تعدّدت مشارب البحث التي استقينا مادتنا العلمية منها فنذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر ما يلي :

كتاب: علم الدلالة لعبد الجليل منقور.

كتاب: علم الدلالة لأحمد عمر مختار.

كتاب: التداولية ، أصولها واتجاهاتها لجواد ختام

مقالة: الأصول التداولية في النحو العربي لسليم قزعوط.

ومن الدراسات السابقة في هذا الموضوع نذكر:

وهيبة بوشليف ، الفاعل بين السمات النحوية والتداولية في اللغة العربية.

ولمّا كان لكلِّ بحثٍ علميٍّ صعوباتٌ تعترض الباحث، فقد واجهنا بدورنا بعضها ومن ذلك نقصُ المصادر والمراجع الجامعة لعلاقة علمي الدلالة والتداولية بالنحو كما لاحظنا ندرة في المصادر التي توضح نقطة الترابط بين مباحث التداولية وفروع علمِ اللغة العربية من صرف وتركيب وأسلوبية وغيرها إضافة إلى حاجة مثل هذه الدراسات إلى التركيز الشديد أثناء التحليل كونها من الدراسات الحديثة التي لازالت في طور البحث , ولا يفوتنا أن نتقدّم بجزيل الشكر لكلّ من أسهم في إنجاز هذا العمل، وبعظيم الثناء والعرفان الجميل لأستاذنا المشرف الأستاذ الدكتور " بن عائشة حسين " الذي علّمنا سُبلَ البحث المنهجي العلمي ، ولم يبخل علينا بمدّ يدِ العون والمساعدة بالكتب والنصائح القيّمة فله منّا جزيل الشكر والثناء ، كما نتقدّم بأسمى عبارات التقدير والاحترام لأعضاء اللجنة المناقِشة شاكرين لهم مجهوداتهم المبذولة عسى اللهُ أن يجعلَ ذلك في ميزان حسناتهم .

وفي الأخير نسأل الله التوفيق والسداد .

مدخـــــــــل

- مكانة اللغة العربية في القرآن والسنة
- استعمال اللغة العربية بين القديم والحديث
- أهم المناهج اللسانية الحديثة
- النحو والدلالة والتداولية

تُعدّ اللغةُ العربية من أرقى اللّغات في العالم, حيثُ تتميّز بعددٍ هائلٍ من المصطلحات بعكس اللغات الأخرى, كما تنفردُ بكونها تحتوي على حروفٍ لا تجتمعُ إلّا فيها مثل حروف الحلق والإطباق .

مكانة اللغة العربية في القرآن والسنة

تُعدُّ اللغةُ العربيةُ لغة التنزيل والسنة النبوية الشريفة ، حيث تتمتّع بمكانةٍ عالية ورفيعة كونها لغة التفسير والتحليل يقول ناصر الطيّار:" فمَن أراد معرفة ما في كتاب الله عزّ وجلّ ، وما في سُنّة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من كلّ كلمةٍ غريبة أو نظمٍ عجيب لم يجِد مِن علمِ اللغة بُدّا (...) لابدّ في فهمِ الشريعة من اتّباع معهود الأمّيين، وهم العرَبُ الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانِهم عُرفٌ مستمرٌّ فلا يصِحُّ العدولُ عنه في فَهم الشريعة، وإن لم يكن ثَمَّ عُرف ، فلا يصحّ أن يجريَ في فهمِها على ما لا تعرِفُه، وهذا جارٍ في المعاني والألفاظ والأساليب، ويُفهم من ذلك أنّ معرفة اللغة العربية شرطٌ في فهم القرآن "[1] ، وبالتالي لا يُسمّى الرجل مفسّرا إلّا إذا كان عالما بعلوم العربية .

كما أنّ للقرآن الكريم دورا فعّالا في المحافظة على اللغة العربية والتأثير عليها، يقولُ الرافعيّ : "ويبقى وجهٌ آخرَ من تأثير القرآن في اللغة، وهو إقامة أدائِها على الوجه الذي نطقوا به وتيسير ذلك على أهلِها في كلّ عصر، وإن ضعُفت الأصولُ واضطربت الفروع، بحيثُ لولا هذا الكتابُ الكريمُ لما وُجِد على الأرض أسودُ ولا أحمرُ يعرِفُ اليوم ولا قبلَ اليومِ كيف كانت تنطِق العربُ بألسنتِها وكيفَ تُقيم أحرفها وتحقق مخارجها"[2] .

ما يعني أنّ العربية كانت ولا زالت في رعاية كتاب الله إلى يوم الدين.

---

[1] - مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الرياض،ط1، 1422ه، ص41.

[2] - مصطفى صادق الرافعي، مجاز القرآن والبلاغة النبوية، راجعه واعتنى به درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 2003م ،د ط ص69 .

استعمال اللغة العربية بين القديم والحديث

كان العرب قديما يتميّزون بالفصاحة والبلاغة ، فكان الواحد منهم يتحدّثُ العربية انطلاقا من السليقة، أي فِطريا فلا تشكيل على الكلمات ولا نِقاط على الحروف، فبلغوا منزلةً رفيعة في التفنّن في الكلام وفي معرفة وجوه تصريفه ، والقارئُ لِما وَصل إلينا من النصوص الجاهلية يدركُ أن وراءها ملَكَات ذوّاقة وقرائِحَ صافية فكان ما خلقوا من أدب يحملُ في تضاعيفه ما يصوّر فصاحة منطقِهم وكيف كانوا يتأنّون للكلام حتى بلغوا منه كل ما كانوا يريدون من استمالة القلوب وقد أشار إلى ذلك الجاحظ قديما لمّا ذكرَ أنّه لم يرَهم يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد وفي صَنعة طوال الخُطَب وكانوا إذا احتاجوا إلى الرأي في معاظم التدبير ومهمّات الأمور ميثوا ، ذلّلوا الكلام في دُورهم وقيّدوه على أنفسهم فإذا قوَّمَه الثقاف وأُدخِل الكير وقام على الخلاص أبرزوه محكّكا منقّحا ومصفّى من الأدناس مهذّبا، ولم يقتصر اهتمامُهم بالكلام على معاظم التدبير ومهمّات الأمور بل كانوا يجعلون المحادثة من تمام الكرَم ، والحديثَ والبسطَ والأنسَ والتلقّي بالبِشر من حقوق القِرى ، ومن تمام الإكرام به، وقالوا : من تمام الضيافة الطلاقةُ عند أول وهلة، وإطالة الحديث عند المواكلة ، وقال عبد القاهر الجُرجانيّ : إنّهم كانوا كما لا يخفى يروون أشعار الجاهليين وخطَبَهم ويعرفون مقاديرهم في الفصاحة معرفة من لا تشكل جهات الفضّ عليه، وحسبُنا تقديم النصّ الجاهليّ في الاحتجاج اللغويّ عند العلماء، دليلا على فصاحة أهله وبلوغِهم فيها مرتبة عالية، فهُم الأساتيذ المهَرَة والمصاقِع اللسنُ [1].

أمّا اليوم فإنّ اللغة العربية تعاني من عدّةِ مشاكلَ وعراقيلَ وذلك بسبب ضعف المتعلّمين في قواعدها ممّا يشكّل نُدرة في استعمالها وتداوُلِها إذ تجِدُها فقط في المؤسسات التعليميّة وغيرها من الأماكن الواجب فيها التحدّث بها، ورغم دقّة القواعد اللغوية والتشكيل والتنقيط الذي وضعه القُدامى إلّا أنّ تداوُلها في الوقتِ الراهِن حدّث ولا حرج.

[1] - ينظر: محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية المفاهيم والأصول، دار الانتشار العربي بيروت لبنان ط 1 2006 ص103-104.

يقول محمود السيد : " ومن الملاحظ أنّ الأجيالَ العربية الصاعدة ترى في إتقان العربية صعوبة ، كما ترى أن الجُهد التطويري في إدخال اللغة العربية في نُظُمُ المعلومات غيرُ كافٍ ويقتصر على الاستيعاب السطحي، إذ أنّ ثمتَ شُحّا في محتواها الرقمي، وعدم توفّر الأدوات المعلوماتية الملائمة للبحث والتنقيب فيها، وغيرُ ذلك من العوائق التي تزداد يوما بعد يوم , ونحن نرى اليوم بلدانا عربية تتوجّه نحو اللغات الأجنبية في التعليم العالي وخاصة في الفروع العلمية والثقافية والتكنولوجية، بعد أن كان من توصيات وزراء الصحّة ووزراء التعليم العالي في الثمانينيات أن يكون عام **2000** هو عام الانتهاء من التعريب في الجامعات العربية " [1].

ومن خلال هذا القول فإنّ محمود السيد يؤكّد على أنّ استعمال العربية يوشك على الاندثار حيثُ يقول أيضا : "ومن جهة أخرى عمدوا إلى وصم لغتنا الفصيحة بالتخلّف وعدم مواكبة روح العصر وبأنّها لغةُ البداوة وليست لغة العلم والتقانة، وأنّه إذا أراد أبناءُ العروبة أن يواكبوا روح العصر فما عليهم إلّا أن يستخدموا اللغة الانجليزية , وهذا ما جنحت إليه أغلب جامعات وطننا العربي " [2] وهذا لا شكّ خطأ فادح وقعنا فيه .

وتجدر الإشارة إلى أنّ ظهور اللحن في استعمال اللغة العربية كان في العصر الإسلامي حينما حصل الاختلاط بين العرب و الأعاجم وجاء في الحديث : سَمِعَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ رَجلًا قَرَأَ فلَحَنَ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « **أرْشِدوا أخاكُم**»[3].

وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول : **لأن أقرأ فأُسقِط أحبّ إليّ من أن أقرأ فألحن،** فإذا بلغنا عهدَ عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه رأينا المصادر تثبتُ عددا من حوادثِ اللّحن فتذكر أنّ عمرَ مرّ على قوم يسيؤون الرميَ فقرَعهم فقالوا : إنّا قومٌ متعلمين، فأعرض مُغضبا وقال : والله لخطؤكم في لسانِكُم أشدُّ عليّ من خطئكم في رميكم , ومرّ برجلين يرميان فقال أحدهما للآخر أسَبتَ ، فقال عمر: سوءُ اللحن أشدُّ من سوء الرمي فجعل إبدال الصاد سينا من

---

[1] - محمود أحمد السيد ، اللغة العربية، د د ن ، د ط ، 1428ه-2008 م ص84.

[2] - المرجع نفسه , ص84.

[3] - الراوي : أبو الدرداء | المحدث الحاكم | المصدر : المستدرك على الصحيحين الصفحة أو الرقم | 3688 : خلاصة حكم المحدث : صحيح الإسناد.

اللحن، وتكاد قصّة بنت أبي الأسود الدؤلي تكونُ المعلَمَ المشهور في تاريخ النحو فقد دخل عليها أبوها في وقدة الحرّ بالبصرة فقالت له : يا أبَتِ ما أشدُّ الحرّ ! وقد رفعت **أشدّ** فظنّها تسأله وتستفهمُ منه أيّ زمان الحرّ أشدّ ؟ فقال لها : شهرا ناجر، فقالت : يا أبتِ إنّما أخبرتُك ولم أسألك، ثم شاع في العصر الأمويِّ حتى تطرّق إلى البُلغاء من الخلفاء والأمراء كعبد الملك والحجّاج، والناسُ يومئذ تتعاير به ، وكان ممّا يُسقِط الرجلَ في المجتمع أن يلحن، حتى قال عبد الملك وقد قيل له أسرعَ إليك الشيبُ : شيّبني ارتقاءُ المنابر مخافة اللحن وكان يقول : إن الرجلَ يسألني الحاجة فتستجيبُ نفسي له بها فإذا لحَنَ انصرفت نفسي عنه وكان يرى اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب النفيس[1] .

واختلف العلماءُ حول واضع علم النحو ودارت آراؤهم حول مجموعة من اللغويين بينما نصّ أغلبُهُم على أنّ الواضِعَ الأوّل لهذا العلم هو أبو الأسود الدؤلي بأمر من أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ومِن هذا قولُ أبي الطيّب اللغوي : " ثمّ كان أوّلُ من رسم للناس النحو أبو الأسود الدؤلي فيما حدّثنا به أبو الفضلِ جعفرُ بن محمّد بن بابتويه قال : حدّثنا أبو إسحاق بنُ إبراهيم بن حميد قال : أخبرنا أبو حاتم السجستاني و أخبرنا أبو بكر محمد بن يحي قال حدثنا محمّد بن يزيد النحوي قال : حدثنا أبو عمر الجرمي عن الخليل قالوا : وكان أبو الأسود أخذَ ذلك عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، لأنّه سمِع لحنا، فقال لأبي الأسود اجعل للناس حروفا وأشار له إلى الرفع والنصب والجرّ فكان أبو الأسود ضنينا بما أخذه من ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد اختُلف في اسم أبي الأسود : حدثنا جعفر بن محمّد قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدّثنا عمَرُ بن شبّة أبو زيد قال : اسم أبي الأسود عمرو بن سفيان بن ظالم" [2].

ومن هذا المُنطلق يتّضح أن تأسيسَ علم النحو كان بأمرٍ من الإمام عليّ حفاظا على اللغة العربية.

---

[1] - سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو،دار الفكر،د ط، د س، ص12.

[2] - أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلي، مراتب النحويين , تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، الفجالة القاهرة د ط، د س ، ص 6-7.

أسباب وضع النحو العربي : عرَفَ النحوُ العربي أسبابا عديدةً مهّدت لوضعِه و إخراجه إلى النور لتوافر بواعث عِدّة منها الدينيُّ ومنها غيرُ الديني .

فالباعثُ الدينيُّ يرجع إلى الحرصِ الشديدِ على أداء نصوص القرآن الكريم أداءً فصيحا سليما إلى أبعد حُدود السلامة والفصاحة، كيف لا ونحنُ أهلُ الفصاحة والبيان وأصحاب اللغة , وكان الخوفُ بسبب اتساع وشيوع اللحنِ على الألسُن فالنحو نشأ لفهم القرآن وفرقٌ كبيرٌ بين علمٍ يسعى لفهم النصّ وعلمٍ يسعى لحفظِه من اللّحن، وهذا الأخيرُ محدث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلّموا بطباعِهم السليمة, وقد ظهر اللحن أول ما ظهر بين المستضعفين من العرب والناشين منهم وبين الموالي في زمنِ الرسول صلى الله عليه وسلم بالحواضر والمدُن لا البوادي، فقد بقيت اللغة العربية فيها خاليةً من اللحنِ حتى آخر القرن الرابع الهجري ثم نشأ في الدولة الأموية حتى خِيفَ منه على القرآن الكريم، فوُضِع النحوُ والشكلُ والإعجام والنقطُ، فهذا هو الباعث الديني .

أمّا غيرُ الدينيّ فمنه القوميةُ العربيةُ إذ أنّ العربي يعتزّ بلغته اعتزازا خشي منه فسادَها وخاصّة حين امتزجوا بالأعاجم، خوفا من ذوبانها في اللغات الأخرى , إضافة إلى إحساس الشعوب المستعجمة بالحاجة إلى من يرسُم لها أوضاع العربية في إعرابها وتصريفها حتى تتمثّلها تمثُّلا واضحا مستقيما.

ولا يفوتنا أيضا نموّ الطاقة الذهنية العربية ورُقيُّها إذ عملت على رصد الظواهر اللغوية وتسجيل الرسوم النحوية التي كانت أساسا راسخا لنشوء علم النحو وقواعده, وروي عن الأصمعي قوله :خاصم عيسى بن عمر النحوي الثقفي رجلا الى بلال بن أبي بردة، فجعل عيسى يتتبّعُ الإعرابَ وجعل الرجلُ ينظر إليه فقال له بلال : لأن يذهبَ بعضُ هذا أحبّ إليه من ترك الإعراب، فلا تتشاغل به واقصد لحاجتك وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تعلّموا النحوَ كما تعلّمون السُنَنَ والفرائض، وبهذا يتّضح لنا أنّه كان من الواجب على أهل اللغة آنذاك وضعُ النحو وتدوينه [1] .

و يذكُرُ الدكتور عبد الكريم محمد الأسعد في كتابه الوسيط : " اختلف العلماء في أوّل ما وُضِع من أبوابه هو ما وقع اللحن فيه، ثم استمرّ الوضعُ بعد ذلك على

[1] - خضر موسى محمد حمود , النحو والنحاة، المدارس والخصائص، عالم الكتب بيروت لبنان ط1 2003م ص 10-11.

النمَط نفسِه، ولأنّ هناك روايات كثيرةٍ فيها وقع اللحنُ فيها فإنّ تعيين الباب الموضوع أوّلا مَنوطٌ بالرواية التي قويَ سندها من بين الروايات، وسنفصّل القولَ في هذا بعد قليل " [1] .

وهذا كان الرأيَ الأوّل، وأمّا الثاني فإنّه يقولُ أيضا : " وذهب بعضُ العلماء الى أنّ أوّل ما وُضع من أبواب النحو ما كثر دورانه على اللسان، وذلك على الرغم من أن الفكرَ والاستنباطَ كانا متّجهين آنذاك إلى استخراج القواعد من الكلام لداعي اللحن على وجه العموم بصرف النظر عن قرب ذلك أو بعده الجاري بكثرة على الألسنة، وبهذا يكون الموضوع أوّلا من أبواب النحو ما كثر جريان اللسان به ثم ما يليه وهكذا، ولذا قالوا إنّ الموضوعَ أوّلا الفاعلُ ثمّ المفعولُ به ثم المبتدأ والخبر وهكذا " [2] .

وبالتالي فالقولُ الأخيرُ يشير إلى أنّ القواعد استُنبطت من الكلام المتداول بعكس ما يظنّه الكثيرُ على أنّنا نستعمِلُ العربية وفق القواعد.

لقد بلغت اللغة العربية مكانةً عاليةً ورفيعة عند العربِ ممّا جعل الكثير من العلماء ينبَرون لحمايتها ووضع أهمّ قواعدها وتوارُثها من جيلٍ لآخرَ ومن أهمّ هؤلاء النحاة نذكر:

- **علي بن أبي طالب – رضي الله عنه (ت 40 ه) :**

روى أبو القاسم الزجاجي عن أبي الأسود الدؤلي : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرأيته مُطرقا مفكّرا فقلت فيمَ تفكّر يا أمير المؤمنين؟ قال إنّي سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت أن أصنع كتابا في أصول العربية فقلت : إن فعلت هذا أحييتنا، وبقيت فينا هذه اللغة، ثم أتيته بعد ثلاث، فألقى إلي صحيفة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم، الكلمة اسم، وفعل، وحرف ,

فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى. والحرفُ ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ، ثم قال : تتبّعه و زِد فيه ما وقع لك، واعلم يا أبا

[1] - عبد الكريم محمد الأسعد، الوسيط في تاريخ النحو العربي، دار الشواق، الرياض ط 1، 1992م ص 28.

[2] - عبد الكريم محمد الأسعد، الوسيط في تاريخ النحو العربي– المرجع السابق، ص 28.

الأسود أنّ الأسماء ثلاثة : ظاهرٌ ومضمرٌ و شيءٌ لا ظاهرٌ ولا مُضمر وإنّما يتفاضلُ العلماءُ في معرفة ما ليس بظاهرٍ ولا مُضمر قال أبو الأسود : فجمعتُ منه أشياء وعرضتُها عليه فكان من ذلك حروف النصب.

- **أبو الأسود الدؤلي (ت 69ه) :**

هو أوّل من أسّس العربية وفتح بابها وأنهجَ سبيلها ووضع قياسها ، وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر ابن حلس بن نفاثة بن عديّ بن الدئل، وكان رجلا أهل البصرة وكان علويّ الرأي ، قيل له : من أين لك هذا العلم ؟ يعنون النحو فقال : لُقِّنتُ حدوده من علي بن أبي طالب .

كان فقيها عالما بالعربية فصيحا، قال عمرو بن دينار : اجتمعتُ أنا والزهري، ونصرُ بن عاصم فتكلّم نصرٌ فقال الزهري : إنّه ليفلق بالعربية تفليقا.

قال المدائني : وكان يرى رأيَ الخوارج ثم تركهم ورجع عنه، وقرأ القرآن أيضا على أبي الأسود وقرأ أبو الأسود على عليٍّ رضي الله عنه فكان أستاذا في القراءة والنحو، ومات سنة **808م** في أيّام الوليد بن عبد الملك.

- **أبو عمرو بن العلاء ت (154ه):** العلَمُ المشهور في علم القراءة واللغة العربية، أخذ النحو عن نصر بن عاصم الليثي وأخذ عنه يونسُ بن حبيب البصري والخليلُ بن أحمد و أبو محمّد علي بن المبارك اليزيدي .
- **الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري :**

عربيٌّ من أزد عُمان ولد سنة **(100ه /718م)** وتوفّي سنة **(175ه/791م)** ومنشؤه وحياته ومرباه في البصرة، وقد أخذ يختلف منذ نعومة أظفاره إلى حلقات المُحدّثين و الفقهاء وعلماء النحو واللغة [1] .

- **سيبويه (ت 180ه) :** أصله فارسي وهذا لقبُه واسمه عمرو بن عثمان بن قُنبر من موالي بني الحارث بن كعب ، وُلد بقرية من قُرى شيراز تسمى البيضاء، فيها تلقّى عُلومه الأولى، وقدِم البصرة والتحق بحلقات الفقهاء والمحدّثين .

- **الأخفش الأوسط ت (215ه) :**

[1] - خضر موسى محمد حمود ، النحو والنحاة المدارس والخصائص , المرجع السابق ص 14-15-16-17.

أبو الحسن سعيد بنُ مسعدة أوسط الأخافشة الثلاث, فقبله أبو الخطّاب الأخفش الأكبر شيخُ سيبويه , وبعده أبو الحسن الأخفشُ الأصغرُ تلميذ المبرّد وثعلب [1] .

- **أبو عثمان بكر بن محمد بن بقيّة (المازني ت 247ه) :**

من بني مازن الشيبانيين، من أهل البصرة، بها مولده ومرباه، أكبّ منذ صباه على حلقات النحاة واللغويين البصريين كما أكبّ على حلقات المتكلّمين ولزِمَ الأخفش، وأخذ عنه كتاب كتاب سيبويه, حتى إذا توفّيَ هو والجرمي أصبح عالم البصرة الوحيد في النحو والصرف.

- **أبو عمر الجرمي، صالح بن إسحاق (ت 225 ه) :**

مولده ومنشؤه البصرة، وقد دأب منذ نعومة أظافره على الاختلاف إلى حلقات علماء البصرة من النحاة واللغويين، أخذ النحو عن الأخفش وغيره، وقرأ كتاب سيبوبه على الأخفش ولقي يونسَ بن حبيب ولم يلق سيبويه، وأخذ أبو عمر الجرمي اللغة عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي وطبقتهم .

- **محمد بن يزيد الأزدي (المبرّد) :**

إمام نحاة البصرة في عصره، ولد سنة **(207ه)** وأكبّ منذ نشأته على التزوّد من اللغة على أعلام عصره البصريين وشُغف بالنحو والتصريف فلزم أبا عمر الجرمي يقرأ عليه كتاب سيبويه، حتى إذا توفي لزم أبا عثمان المازني .

- **أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل النحوي(الزجّاج) :**

كان من أهل الدين والفضل، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، وله مصنّفات حِسان في الأدب، مات في جمادى الأولى سنة (**311ه)**

- **ابن السرّاج (ت 316ه) : أبو بكر محمد بن السري بن سهل البغدادي النحوي:** كان أحدث أصحاب المبرّد مع ذكاء وفطنة، قرأ عليه كتاب سيبويه،

[1] - يُنظر : محمد الطنطاوي , نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ,دار المعارف , القاهرة ط 2 , ص 104

وعوّل على مسائل الأخفش والكوفيين، وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة، وكان أحد العلماء المذكورين وأئمة النحو المشهورين[1] .

وبعد أن كثُر المهتمّون بعلم النحو نشأت اختلافات بينهم في الكثير من المسائل حيث إنّ كلاً منهم كانت له آراء يدعمها بالأدلّة العلمية ، دون أن ينقص ذلك من قيمة اللغة العربية ، بل كان يزيد من رفعتها ذلك لأنّ علومها بحرٌ غرق فيه واضعوه ، فيُذكر في تاريخ العربية أنّ سبب وفاة سيبويه كان بسبب شدّة غيضه وشعوره بالخذلان والخسارة إثر مناظرة جرَت بينه وبين الكسائي في مسألةٍ نحوية اشتهرت بالمسألة الزنبورية لم يكُن الظفَرُ فيها من نصيبه لأسباب عدّة ليس هذا مقامُ ذكرها ، لكنّها كانت سببا في وفاته , ومن هنا انقسم النحاة إلى مدرستين :

- **المدرسة البصرية**

جاء في كتاب المدارس النحوية لإبراهيم السامرائي : " ذهب الدارسون في عصرنا إلى أنّ البصريين أخذوا بالسماع , إنّنا نلمح هذا في نقضِهم لمسائل الكوفيين، فقد أبَوا أن يستدلّوا بشاهدٍ لم يُعرف قائله , وحملوا كثيرا من الشواهد التي خرجت عن المسموع الشائع على الشذوذ أو الضرورة ، وعلى ذلك لا يمكن أن تكون أساسا في حكم، وهم في ذلك قد ذهبوا إلى أنّ الكوفيين أخذوا كل ما سمِعوا عن العرب فجعلوه أصلا يُقاس عليه، وكأنّهم أرادوا أن يقولوا : إنّ

الكوفيين لم يتوثّقوا ممّا اعتمدوه أصلا فقد قاسوا على النادر والشاذ، ولم يتحرّوا صحّة ما وصل إليهم من مواد " [2].

ومن هذا القول يتّضح أنّ النحاة البصريين اعتمدوا على السماع في وضعهم للقاعدة النحوية.

إنّ أوّل مصدرٍ اعتمد عليه البصريون هو لغة التنزيل فأقاموا عليها نحوهم، وهو أحدُ المصادر التي توثّقوا بها لتأسيس ما أسّسوا من نحوهم, ولا يعني هذا أنّ الكوفيين لم يحفُلوا بالقرآن ، والمصدرُ الثاني هو الشعر الجاهلي وتجاوزوه إلى

[1] - خضر موسى محمد حمود,النحو والنحاة، المدارس والخصائص،المرجع السابق، ص 18...31 .
[2] - إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية أسطورة وواقع , دار الفكر, الاسكندرية ط1 ، 1987ص17.

الشعر الإسلامي فاتخذوا من شعر الفرزدق وجرير وأراجيز العجّاج ورؤبة وأبي النّجم مادّة اعتمدوها للاستشهاد للقواعد في نحوهم [1] .

- **المدرسة الكوفية**

يذكر إبراهيم السامرائي : " كانت الكوفةُ مركزا من مراكز العلم كما كانت البصرة ، ولسنا على يقينٍ تام في سبق البصريين وانصرافهم إلى العلم على الكوفيين إلّا ما كان من ذلك في العلوم اللغوية ، فقد عُرِفَ النحو في البصرة ، قبل الكوفة، وإذا قيل النحوُ فلا بدّ أن يكون ممّا اشتملت عليه علومُ العربية عامّة, ثم جاء بعدهم الكوفيّون ليشاركوا في هذا المسعى فكان منهم نحاةٌ وعلماءُ لغةٍ وأصحابُ رواياتٍ في القراءات وسائرِ فنون العربية وما يتّصل بها من أخبار وعلمٍ بالأيام والوقائع ولم يكُن هذا مقصورا على الكوفيّين كما يتراءى لبعض الدارسين في عصرنا " [2] .

ومن هذا الذي ذكره إبراهيم السامرائي نتأكد أنّ البصريين كانوا سبّاقين إلى وضع النحو العربي , كما ظهرت بعد هاتين المدرستين مدارسُ أخرى من بينها المصرية، والأندلسية والبغدادية .

و تبرزُ أزمة النحو العربيِّ من النحو ذاتِه حين صار نوعا من التحليل الفلسفي الذي لا يراعي طبيعة اللغة حتى قال بعض أهل الأدب : كنّا نحضرُ عند ثلاثة مشايخَ من النحويين فمنهم من لا نفهمُ من كلامه شيئا, ومنهُم من نفهم بعضَ كلامه دون البعض، ومنهم من لا نفهم جميع كلامه, فأمّا من لا نفهم من كلامه شيئا فأبو الحسن الرمّاني، وأمّا من نفهم بعض كلامِه دون البعض الآخر فأبو عليّ الفارسي , وأمّا من نفهمُ جميع كلامه فأبو سعيد السيرافي، ولقد جاءت بعض كتب النحو العربيِّ أشبهَ بالألغاز من أن تكون قوانين مستمدّةً من اللغة، ولعلّ من أهمِّ مشاكل النحو العربي :

---

[1] - إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية أسطورة وواقع, المرجع السابق , ص 20.

[2] - المرجع نفسه، ص 20 .

أوّلا : الاضطرابُ المنهجي في التقعيد الذي نتج من لجوئهم إلى المنطق **إذ** ركّزوا على النظرة المعيارية التي تعني محاولة الوصول إلى مجموعة من القوانين والضوابط المطّردة، وفرضِها على أهل اللغة .

ثانيا : كثرةُ العلل الثواني والثوالث أو العلّة وعلّة العلّة كمن يسأل : الرجلُ في جملة (ذهب الرجل) ، لم رُفع ؟ فيُقال لأنّه فاعل مرفوع فيقول السائل : لِم رُفع الفاعل ؟ فيُقال للفرق بين الفاعل والمفعول فيقول : لماذا اختصّ الفاعلُ بالرفع والمفعولُ بالنصب ؟ فيُقال لأنّ الفاعلَ قليلٌ والمفاعيلُ كثيرة فأُعطيَ الأثقلُ الذي هو الرفعُ للفاعلِ وأُعطي الأخفُّ الذي هو النصبُ للمفعول، لأنّ الفاعلَ واحدٌ والمفاعيلُ كثيرة ليَقِلّ في كلامِهم ما يستثقلون ويكثرَ في كلامهم ما يستخفّون.

ثالثا : كثرةُ التقديرات وهذا ناتجٌ من تعسّف النحويين في نظرية العامل أو القياس لأنّهم جعلوا سبب كلّ حركةِ إعرابٍ عاملا لفظيا أو معنويا ولا يكونُ دائما في الكلام عاملٌ ظاهرٌ ملفوظٌ ومن الصعبِ على النحويين أن يجِدوا لكلّ حركةٍ إعرابيةٍ عاملا لفظيا يأتي قبلها .

رابعا : التمارينُ غير العملية التي صنعوها للدُّربة والرياضة اللغوية إضافةً إلى كثرة الشواهد الشاذّة في ثنايا كتب النحو، وذلك ما يؤكّده محمّد حسن شراب في مقدّمة كتابه، فقد وجد أنّ الشواهدَ الشعرية لا تشمل القواعد النحوية كلّها وأكثرُ الشواهد النحوية ما كانت محلّ خلافٍ أو ممّا شذّ عن القاعدة أمّا المسائلُ المُتّفق عليها فقليلة في الشواهد .

خامسا : اختلافُ الأقوال في المسألة الواحدة لأنّ النحويينَ القدماء حين قعّدوا قواعدهم أقحموا اللهجات العربيّة بصفاتها وخصائصها المتباينة , ونظروا إليها على أنّها صورٌ مختلفة من اللغة المشتركة .

سادسا : تداخلُ المصطلحات وتعدّدها للمفهوم الواحد والتباسُها ممّا أدّى إلى الاضطراب وعدم الوضوح وإن كانت دلالة المصطلحات عند هؤلاء وهؤلاء واحدةٌ عموما.

لهذا وغيره صعُب على الكثير من متعلّمي النحو في الوقت الراهن الإلمام به وحصره [1].

- **أهم المناهج اللسانية الحديثة :**

أمّا في العصرِ الحديث فقد ظهرت مناهجُ لسانيةٌ اهتمّت بالجملة من منظور آخر بحيث شقّت طريقا غير الذي شقّه النحاة القدامى ، ممّا زاد النحوَ توسّعا وبساطة، يُمكنُ ذكرها في ما يلي :

المنهج البنيوي :

يذكر الدكتور **السعيد شنوقة** : " ظهرت البنيوية في القرن العشرين ويعود الفضلُ في ظهورها إلى **فرديناند ديسوسير (Ferdinand de Saussur)** الذي يعدّه الكثير من الدارسين أبا اللسانيات البنيوية، لكنّ بعضَ اللسانيين مثل **جاكبسون (Roman Osipovich Jakobson)** يرى أنّ اللسانيات البنيوية تعود إلى أصولٍ أقدمَ من ذلك فهي ترتبطُ عنده بالأمريكي **شارل بيرس** وكما ذكر **جون ليونز (John Lyons)** أنّ المذهب البنيويَّ كان الصيحة التي جمعت بين مدارس مختلفة في علم اللغة في القرن العشرين وهو يوجّه إلى أنّ المدارس اللغوية الحديثة منذ ديسوسير إلى **نعوم تشومسكي** تنتمي إلى البنيوية بكيفية أو بأخرى لاعتقادها بأنّ اللغة نظامٌ يتكوّن من نظم لأنّ الأصوات في كلّ لغة تأتلِفُ بطريقة اصطلاحية لتشكّلَ وحداتٍ صرفيةٍ وتراكيبَ دالّة على معان " [2].

ومن هنا نستنتجُ أنّ المنهج البنيوي هو أوّل المناهج الحديثة ظهورا.

المنهج التوزيعي :

يُعرفُ هذا المنهجُ بالمنهج التوزيعي أو الهيكلي أو الشكلي أو السلوكي ، وقد انطلق أصحابه من مفهوم البنية عند ديسوسير **(Ferdinand de Saussur)** ودقّقوا في مفهومه أكثرَ ووضعوه منهجا لا يخلو من الموضوعية، وقد ساد هذا

[1] - جنان التميمي ،النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة، دار الفارابي ,بيروت لبنان ط1، 2013م، ص 18- 19...25.

[2] - السعيد شنوقة ، مدخل الى المدارس اللسانية ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ،ط 1 ، 2008 ص 41 .

المنهج في النصفِ الأوّل من القرن العشرين في أمريكا ثم في بعض أنحاء العالم وكان لكِتابِ **بلومفيلد (Bloomfield)** الموسوم باللغة، كبيرُ الأثر في الترويج لهذا المنهج في أمريكا, ومن بين أبرز من أرسى أسُس اللسانيات الأمريكية **إدوارد سابير** حيثُ يؤكّد على دراسة الأشكال اللغوية دراسةً تحليلية تصنيفيّة, دون تصوّرات ودون إقحام أنماطٍ من لُغاتٍ أخرى، كما يُعدّ الإشكال من أهمّ مظاهر اللغة ولكنّه لا يتناولها بكيفية مستقلّة عمّا تؤدّيه من وظيفة [1] .

المنهج التحويلي التوليدي

تنتمي المدرسة التحويليّة التوليديّة إلى **تشومسكي (Noam Chomsky)** الذي نقد المذهبَ السلوكي في علم اللغة وهو أحدُ تلاميذ المدرسة التوزيعية ، حينما كان يقوم بتحضير أطروحة الدكتوراه في جامعة بنسلفانيا وحاول تطبيق المنهج التوزيعي ، فتبيّن له أنّ الطرائق التقليدية التي تمتّعت ظاهريا بفاعلية كبيرةٍ في دراسة الأصوات والصيغ، لا تتوافقُ بصورةٍ جيّدة مع دراسة الجُمل بمختلف أنواعها لأنّها تستبعِدُ المعنى ولا تُطبَّقُ على جميع أنواع الجُمل أو الأجزاء الرئيسية من تلك الجمل ، لذلك اقتنع العلماءُ بأنّ التوزيعية منهجٌ في التصنيف وليست أسلوبا صحيحا لفهم التركيب النحوي للجملة [2] .

المنهج التداولي :

يقول **جورج يول(George Yule)** : " يشار إلى التداولية غالبا على أنّها دراسةُ استعمالِ اللغة في سياقٍ معيّن ، ويميلُ علماء اللغة أحيانا إلى مُباينة التداولية مع علم الدلالة الذي بدوره يدرسُ معنى الجملة وهذا يعني أنّ التداولية تختصُّ بتقصّي كيفية تفاعُل البُنى والمكوّنات اللغوية مع عوامل السياق لغرضِ تفسير اللفظ ومساعدة السامع على سدّ الهوّة التي تحصل أحيانا في المعنى الذي قصده المتكلم، ويُعدّ الفيلسوف الأمريكي **بول كرايس (Paul Grice)**عرّاب

[1] - السعيد شنوقة ، مدخل الى المدارس اللسانية، المرجع السابق، ص 89.

[2] - المرجع نفسه , ص 110.

التداولية وتعتبر محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفارد نقطة الانطلاق لدراسة التداولية " [1].

وعليه فإنّ المنهج التداوليَّ يرى بوجوبِ إدراج المعنى أثناء دراسة اللغة .

- **النحو و الدلالة والتداولية :**

والتباينُ أحدُ الفروقات التقليدية في التحليل اللغوي بين التداولية وعلم النحو وعلم الدلالة .

فالنحو دراسة العلاقات بين الصيَغ اللغوية وكيفية تنظيمها في تتابع معين، وأيّ من هذه التتابعات سليم البنية .

لا يعتمد ميدانُ الدراسة هذا على أيّ علم للإشارة ولا على أيٍّ مستخدم للصيغ، بينما يختصّ علمُ الدلالة بدراسة العلاقات بين الصيغ اللغوية والكيانات الموجودة في العالم، أي كيفية ارتباط الكلمات بالأشياء , ويهدف هذا التحليل اللغوي أيضا إلى بناء علاقاتٍ بين الأوصاف الشفوية والحالاتِ في العالم , دقيقةً كانت أم غير دقيقة , بغضّ النظر عمّن أتى بتلك الأوصاف , أمّا التداوليةُ فهي دراسةُ العلاقات بين الصيغ اللغوية ومستخدمي هذه الصيغ ، وبالتالي فإنّ بينهم علاقة ترابط [2] .

[1] - جورج يول ، التداولية، ترجمة قصي العتابي، دار الأمان ، الرباط، ط 1، 2010م ص13.

[2] - المرجع نفسه , ص 20.

الفصلُ الأوّل

المبحث الأوّل ماهية علم الدلالة

- مفهوم الدلالة
- الدلالة عن العرب القدامى والمحدثين
- علم الدلالة والعلوم الأخرى
- نشأة علم الدلالة
- موضوعات علم الدلالة

ماهية علم الدلالة

يُعتبر علم الدلالة من العلوم التي تشهدُ إقبالا كبيرا في الدراسات الحديثة ، إذ اهتمّ بها الباحثون وجعلوا منها رافِدا وبوّابة إلى الكثير من العلوم الأخرى كعلوم التفسير وغيرِها وتحتلُّ الدلالة مكانة كبيرةً بين تلك العلوم مشكّلة رابطا قويا فيما بينها ، ومِن هنا نعرّج على تعريفها فيما يلي :

- **مفهوم الدلالة** : جاء في لسان العرب لابن منظور: " ودللت بهذا الطريق : عرفته، ودللت به أدلّ دلالة وأدللت بالطريق إدلالا , والدليلة : المحجّة البيضاء، وهي الدلي, وقوله تعالى : "" ثمّ جعلنا الشمسَ عليه دليلا "" قيل : معناه تنقصه قليلا قليلا .

والدلّالُ :الذي يجمع بين البائعَين , والاسمُ الدَلالة والدِّلالة، والدلالة : ما جعلته للدليل أو الدلال , وقال ابن دُريد : الدلالة بالفتح حِرفة الدلّال , ودليلٌ بيّن الدَّلالة، وبالكسر لا غير" [1] .

وجاء في المعجم الوسيط : " الدلالة : الإرشاد وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه (ج) دلائل ودلالات, والدلالة اسمٌ لعمل الدلّال وما جُعل للدليل أو الدلّال من الأجرة " [2].

ومن هنا تختلف المعاني اللغوية للدلالة من سياق إلى آخر.

ب – اصطلاحا

تختلف مفاهيم الدّلالة من عالِم إلى آخر ومن باحث إلى آخر، إلّا أنّ معناها واحد ومصبّها واحد وما هي إلا وجهات نظر.

---

[1] - ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر ، بيروت ، م 5 ط1 (د س)مادة د ل ل ص298 .

[2] - مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، 1426ه،2005م ، ط 4 ص293 .

- **الدلالة عند العرب القدامى**

ذكر لنا عبد الجليل منقور في كتابه "علم الدّلالة " بعض مفاهيم الدلالة عند العرب القُدامى ومن بينهم الفارابي الذي اقترن اسمُه في التراث العربيّ بميدانين من ميادين الثقافة الإسلامية هما : ميدانُ علم المنطق وميدانُ علم الفلسفة ، وصِلة هذين الميدانين بعلوم اللغة لا تخفى على أيّ مطّلِع ودارسٍ للتراث المعرفيّ العربي ، فالفارابي كان يرى ضرورة الأخذ بعلوم العربية وقوانينها وسُنَنها في التعبير والخطاب ، لأنّها أدوات أساسية في البحث الفلسفي والمنطقي، واهتمام الفارابي بعلوم العربية يُستشفّ من خلال مؤلّفاتِه في المنطق والفلسفة.

أمّا مفهومُ الدلالة عند الغزالي فينبغي أن يُنظر إليه من زاوية الثقافة الأصولية ، ذلك أنّ الأحكام التي استنبطها من القرآن الكريم استند فيها على أُسسٍ نظرية نجدها بشكل واضحٍ في كتابه **" المستصفى من علم الأصول "** وتعود هذه الأصول أصلا إلى فهم عميق للدلالة وإن كانت وُضعت لتطبّق في فهم النصوص الشرعية ولكنّها تطبّق أيضا في معاني أي نصّ غيرِ شرعي مادام مَصوغا في لغة عربية ، والتفسيرُ الدّلالي الذي توصّل إليه الغزالي ، يدلّ على أنّ هذا العالم الفيلسوفَ قد تجاوز البحثَ عن ماهية الدلالة إلى البحث في جوهر الدلالة وفُروعها ، فبنظرة مُقتضبة إلى بعضِ نصوصه في كتابه المشار إليه آنفا تجده يذكر أصنافا لِمعانٍ قد حدّدها علماءُ الدلالة المُحدَثون كالمعنى الإرشادي أو الإيمائي والمعنى الاتساعي والمعنى السياقي ، وإن كان الغزالي يسمّيها بمصطلحات أصولية وهي على الترتيب : دلالةُ الإشارة ودلالةُ الاقتضاء وفحوى الخطاب ، وكلّ دلالةٍ عند الغزالي قد تنقسمُ إلى دلالات فرعيةٍ , يقولُ معرّفا دلالة الاقتضاء، بأنّها هي التي يدلّ عليها اللفظُ ولا يكونُ منطوقا بها ولكن تكونُ من ضرورة اللفظ .

وقد حذا ابنُ خلدونَ حذوَ الغزالي حيثُ وضّح العلاقة القائمة بين المعاني المحفوظة في النفس ، والكتابة والألفاظ وحصرَها في ثلاثة أصنافٍ أوّلُها الكتابةُ الدالّةُ على اللفظ ، ثانيا اللفظ الدالّ على المعاني التي في النفس والضمير, أي الصورة الذهنية وهذه المعاني إن لم تكُن مجرّدةً فإنّها تدلّ على موجودٍ في الأعيان وعلى هذا الأساس فالصنفُ الثالثُ للدلالة على المعاني الدالّة على الأمور الخارجية, ويُعطي ابن خلدونَ للخطّ والكتابةِ أبعادا مهمّة في العملية التواصلية،

باعتبارهما أداتين مهمّتين من أدوات التعليم والتعلّم , الشيءُ الذي كان يشغل فكر ابن خلدون كثيرا .

أمّا الجرجاني فيعرّفُ الدلالة على أنّها كونُ الشيء بحالةٍ يلزمُ منها العلمُ بشيء آخر ، والشيء الأوّل هو الدالُّ والثاني هو المدلول ، وكيفيّة دلالة اللفظِ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النصّ وإشارةِ النصّ واقتضاءِ النص [1] .

الدلالة عند المحدثين :

يعرّفها أحمد مختار بقوله : " يعرفّها بعضهم بأنّها دراسة المعنى أو العلمُ الذي يدرسُ المعنى أو ذلك الفرعُ من عِلمِ اللغة الذي يتناولُ نظرية المعنى أو ذلك الفرعُ الذي يدرسُ الشروطَ الواجبَ توافُرها في الرمز حتّى يكونَ قادِرا على حمل المعنى " [2].

بينما يعرّفها الخولي بقوله : " إنّ عِلم الدلالة ، كما يدلّ عليه اسمه ، هو علمٌ يبحثُ في معاني الكلمات والجُمل ، أي في معنى الجملة , ولعلّ للدلالة اسمٌ آخر شائع هوعلمُ المعنى, لاحِظ أنّ المُرادفَ لعلمِ الدلالة هو علم المعنى ، وليس علمَ المعاني ، لأنّ علمَ المعاني فرعٌ من فروع عِلم البلاغة، وعلمُ الدلالة هو أحد فروع علم اللغة ، وعلم اللغة (...) ينقسمُ إلى فرعين رئيسيّين هما علمُ اللغة النظري وعلمُ اللغة التطبيقي , علمُ اللغة النظري يشملُ علم النحو وعلمَ الصرف وعلمَ الأصوات أو الصوتيات وعلم تاريخ اللغة وعلمَ الدلالة , أمّا علم اللغة التطبيقي فيشمل تعليم اللغات والاختبارات اللغوية وعلمَ المعاجم والترجمة وعلمَ اللغة النفسي وعلم اللغة الاجتماعي . " [3] .

وبالتالي فالدلالة هي دراسة المعاني البارزة وراء الألفاظ المكتوبة .

- **نشأةُ عِلم الدلالة : (المسار التطوري) :**

---

[1] – ينظر، عبد الجليل منقور ، علم الدلالة ، أصوله ومباحثه في التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب على شبكة الانترنت ، د ط، دمشق 2001 ص 28- 29- 30 .

[2] – أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ط1 1985 ص 11.

[3] – محمد علي الخولي ، علم الدلالة ، دار الفلاح للنشروالتوزيع، عمان، 2000م ، د ط، ص 13 .

استقطبت اللغةُ اهتمامَ المفكّرين منذُ أمَدٍ بعيدٍ، لأنّ عليها مدارُ حياة مجتمعاتِهم الفِكرية والاجتماعية ، وبها قِوامُ فهمِ كتُبُهم المقدّسة ، كما كان شأنُ الهُنود قديما حيثُ كان كِتابُهم الديني منبعَ الدراسات اللغوية والألسُنية على الخصوص التي قامت حوله ، ومن ثمّت غدَت اللسانياتُ الإطارَ العام الذي اتُخِذت فيه اللغةُ مادّة للدراسة والبحث .

وكان الجدلُ الطويلُ الذي دار حول نشأة اللغة قد أثار عدّة قضايا تعدّ المحاور الرئيسية لعلم الألسنية الحديث .

إنّ المباحثَ الدلالية قد أولت اهتماما كبيرا لعلاقة اللفظ بالمعنى ، وارتبط هذا بفهمِ طبيعة المفردات والجمل من جهةٍ وفهم طبيعة المعنى من جهة أخرى ، فلقد درَس الهنودُ مختلفَ الأصناف التي تشكّل عالَم الموجودات وقسّموا دلالات الكلمات بناء على ذلك إلى أربعة أقسام، قِسمٌ يدلّ على مدلولٍ عام أو شامِلٍ مثل لفظ رجل ، وقسمٌ يدلّ على كيفيّة مثل كلمة طويل، وقسمٌ يدلّ على حدَثٍ مثل الفعل جاء، وقسمٌ يدلّ على ذاتٍ مثلَ الاسم محمّد.

إنّ دراسة المعنى في اللغة بدأ منذُ أن حصل للإنسانِ وعيٌ لغوي، فلقد كان هذا مع علماء اللغة الهنود كما كان لليونان أثرهم البيّن في بلوَرة مفاهيم لها صِلةٌ وثيقة بعلمِ الدلالة ، فلقد حاور أفلاطونُ أستاذه سُقراط حول موضوع العلاقة بين اللفظ ومعناه وكان أفلاطونُ يميلُ إلى القولِ بالعلاقة الطبيعيّة بين الدالّ ومدلوله ، أمّا أرسطو فكان يقولُ باصطلاحيّة العلاقة وذهبَ إلى أن قسّمَ الكلامَ إلى كلامٍ خارجيٍّ وكلامٍ داخليٍّ في النفس فضلا على تمييزه بين الصوتِ مُعتبرا المعنى متطابقا مع التصوّر الذي يحمِلُه العقلُ عنه ، وقد تبلوَرت هذه المباحثُ اللغوية عند اليونان حتى غدا لكلّ رأيٍ أنصارُه من المفكّرين فتأسّست بناءً على ذلك مدارسُ أرسَت قواعدَ هامّة في مجال دراسة اللغة كمدرسة الرواقين ومدرسةِ الإسكندرية ثمّ كان لعلماء الرومان جهدٌ مُعتبر في الدراسات اللغوية خاصّة ما تعلّق منها بالنحو ، وإليهم يرجع الفضلُ في وضع الكتب المدرسية التي بقيت صالحة إلى حدودِ القرنِ السابع عشر بما حوته من النحو اللاتيني ، وبلغت العلوم اللغوية من النضج والثراء مبلغا كبيرا في العصر الوسيط مع المدرسة السكولائية والتي احتدم فيها الصراع حول طبيعة العلاقة بين الكلمات ومدلولاتها وانقسم المفكّرون في هذه المدرسة الى قائلٍ بمعرفيّة العلاقة بين الألفاظ ودلالاتها وقائلٍ بذاتية العلاقة، وبقيَ الاهتمامُ بالمباحث الدلالية يزدادُ عبر مراحل التاريخ، ولم

يدّخر المفكّرون أيّ جُهد من أجلِ تقديمِ التفسيرات الكافية لمُجمل القضايا اللغوية التي فرضت نفسها على ساحة الفكر كقضيّة اللفظ والمعنى التي دارت بين أفلاطونَ و أستاذِه سُقراط في أوّل الأمر[1].

وفي حدودِ القرنِ التاسع عشر الميلادي تشبّعت الدراسات اللغوية ، فلزِم من ذلك تخصّصُ البحث في جانبٍ معيّن من اللغة فظهرت النظرياتُ اللسانية وتعدّدت المناهج ، فبرزَت الفونولوجيا إلى جانبِ علم الفونيتيك كما برزت الأتيمولوجيا التي اعتنت بدراسة الاشتقاقات في اللغة ، ثم علمُ الأبنية والتراكيب الذي يختصّ بدراسةِ الجانب النحوي وربطِه بالجانب الدلالي في بناء الجُملة، وفي الجانب الآخر من العالم كان المفكّرونَ العربُ قد خصّصوا للبحوث اللغوية حيّزا واسعا في إنتاجِهم الموسوعي الذي يضمّ إلى جانِبِ العلوم النظرية كالمنطق والفلسفةِ علومًا لغويّةً قد مسّت كلّ جوانبِ الفكر عندهم ، سواءٌ تعلّق الأمرُ بالعلوم الشرعية كالفِقه والحديث، أو علومِ العربية كالنحوِ والصرف والبلاغة بل إنّهم كانوا يعدّون علومَ العربية نفسِها وتعلّمها من المفاتيح الضرورية للتبحّر في فهم العلوم الشرعية، ولذلك تأثّرت العلومُ اللغوية بعلومِ الدين وخضَعت لتوجيهاتها وقد تفاعلت الدراسات اللغويةُ مع الدراسات الفقهية ، وبنى اللغويونَ أحكامهم على أصولِ دراسةِ القرآن والحديثِ والقراءات ، وقالوا في أمورِ اللّغة بالسماع والقياس والإجماع والاستصلاح تماما كما فعل الفقهاء في معالجة أمور الدين، ولمّا كانت علوم الدين تهدِفُ الى استنباطِ الأحكام الفقهية ووضع القواعد الأصولية للفقه ، اهتمّ العلماءُ بدلالة الألفاظ والتراكيب وتوسّعوا في فهمِ معاني نصوصِ القرآن الكريم والحديث، واحتاجَ ذلك منهم إلى وضع أسُسٍ نظريةٍ ، فيها من مبادئ الفلسفة والمنطق ما يدلّ على تأثّر العرَب بالمفاهيم اليونانية ومن هنا فالأبحاثُ الدلالية في الفكر العربيّ التراثي لا يمكنُ حصرُها في حقلٍ مُعيّنٍ من الإنتاج الفكريّ بل هي تتوزّعُ لتشملَ مساحة شاسِعةً من العلوم لأنّها مدينةٌ للتّحاورِ بين المنطق وعلوم المناظرة وأصول الفقه والتفسير والنقد الأدبي والبيان، وهذا التلاقُح بين العلوم النظرية واللغوية هو الذي أنتج ذلك الفكر الدّلالي العربي، الذي أرسى قواعد تُعدّ الآن المنطلقاتَ الأساسية لعلم الدلالة وعلم السيمياء على السواء، بل إنّك لا تجدُ كبيرَ فرقٍ بين عُلماء الدلالة في العصر

[1] – ينظر: عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ،المرجع السابق , ص14- 15.

الحديث وبين عُلماء العرب القدامى الذين ساهموا في تأسيس وعي دلاليٍّ هام يُمكن رصده في نتاج الفلاسفة واللغويين وعلماء الأصول والفقهاء والأدباء .

إنّ هذه الجهود اللغوية في التراث العربيّ لأسلافنا الباحثين، وتلك الأبحاث التي اضطلع بها اللغويون القدامى من الهنود واليونان واللاتين وعلماء العصر الوسيط وعصر النهضة الأوروبية ، فتحت كلّها منافذ كبيرة للدرس اللغوي الحديث وأرست قواعد هامّة في البحث الألسني والدلالي استفاد منها علماء اللغة المُحدثون بحيث سعوا إلى تشكيل هذا التراكُم اللغوي والمعرفي في نمَط علميٍّ يستند إلى مناهِج وأصولٍ ومعاييرَ ، وهو ما تجسّم في تقدّم العالِم الفرنسي **ميشال بريال** في الرُبع الأخير من القرن التاسع عشر إلى وضع مصطلح يشرف من خلاله على البحث في الدلالة واقترح دخولَه في اللغة العلمية, هذا المصطلح هو **السيمونتيك** [1] .

كما يرى **ميشال بريال** أنّ الدراسة التي ندعو إليها القارئَ هي نوعٌ حديثٌ للغاية بحيثُ لم تسمَّ بعد ، وقد اهتمّ مُعظمُ اللسانيين بجسم وشكل الكلمات ، وما انتبهوا قطّ إلى القوانين التي تنتظِمُ تغيّرَ المعاني، وانتقاءَ العبارات الجديدة والوقوفَ على تاريخ ميلادها ووفاتِها وبما أنّ هذه الدراسة تستحقّ اسما خاصّا بها، فإنّنا نُطلِق عليها اسم سيمانتيك، للدلالة على علم المعاني , ومن خِلال رأيه هذا يمكن أن نرسُم معالمَ منهجٍ لغوي جديد :

أولا : إذا كانت اللسانيات تهتم بشكل الكلمات فإنّ علم الدلالة يهتمُّ بجوهر هذه الكلمات ومضامينها.

ثانيا : إنّ الهدفَ الذي ينشدُه عِلمُ الدلالة هو الوقوفُ على القوانين التي تنظّم تغيّر المعاني وتطورّها، والقواعدَ التي تسير وفقها اللغة، وذلك بالاطلاع على النصوص اللغوية بقصد ضبط المعاني المختلفة بأدواتٍ محدّدة وفي هذا سعيٌ حثيثٌ إلى التنويع في التراكيب اللغوية لأداء وظائفَ دلالية معينة، وهذا التنويعُ هو الذي يثري اللغة إثراءً يحفظُ أصولها، ولا يكونُ حاجزا أمام تطوّرها وتجدّدها ويمكنُ في خِضَمّ البحث عن هذه النواميس خلقُ نواميسَ لغوية جديدة لكي تشرفَ على النظام الكلاميّ بين أهل اللغة .

---

[1] – ينظر: عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي , المرجع السابق , ص16- 17.

ثالثا : اتباعُ المنهج التطوري التأصيلي الذي يقِفُ على ميلاد الكلمات ويتتبّعُها في مسارها التاريخي ، وقد يردُّها إلى أصولها الأولى لأنّ اللغة مؤسسةٌ اجتماعية تحكُمها نواميسُ مفروضة على الأفراد ، تتناقلها الأجيالُ بضربٍ من الحتمية التاريخية، إذ كلّ ما في اللغة إنّما هو منقولٌ عن أشكالٍ سابقةٍ هي الأخرى منحدرةٌ من أنماط أكثر بدائية ، وهكذا إلى الأصل الأوحدِ أو الأصول الأوّلية المتعدّدة ، فالنظامُ اللغوي نظامٌ متجدّد مادامت الكلماتُ لا تخضع لقانونٍ ثابتٍ يلزمها بمدلولاتها، فاللغةُ تنتظِمُها نواميسُ خفيّة تعودُ إلى اقتضاءات تعبيرية هي جزءٌ من النظام الكلّي الذي تسيرُ وفقَه اللغة ، وتصرّف دلالات تراكيبها وبالتالي هذه النقاط الثلاث تُعدُّ أطُرًا كبرى يندرج ضمنها منهج **ميشال بريال** في علم الدلالة ومعه تحديدٌ لمُجمل فروع البحث في هذا المجال [1].

علم الدلالة وعلوم اللغة :

لا يمكِنُ فصلُ علم الدلالة عن غيره من فروع اللغة , فكما تستعينُ علومُ اللغة الأخرى بالدلالة للقيام بتحليلاتها يحتاج علمُ الدلالة إلى الاستعانة بهذه العلوم , فلِكَي يحدّد الشخصُ معنى الحديث الكلاميّ لا بُدّ أن يقومَ بملاحظاتٍ تشمَلُ مجموعةً من الجوانِبِ منها ملاحظةُ الجانِبِ الصوتي الذي قد يؤثّرُ على المعنى ، مثلَ وضع صوتٍ مكانَ آخر ، ومثل التنغيم والنبر.

ثانيا : دراسة التركيب الصرفي للكلمة وبيانِ المعنى الذي تؤدّيه صيغتها , فلا يكفي لبيان معنى (استغفر) بيانُ معناها المعجميّ المرتبطِ بمادّتها اللغوية (غ ف ر) بل لابُدّ أن يُضَمَّ إلى ذلك معنى الصيغة وهي هنا وزن (استفعل) أو الألفُ والسينُ والتاء التي تدلّ على الطلب, إضافةً إلى مُراعاة الجانب النحوي، أو الوظيفة النحوية لكلّ كلمة داخل الجملة ، ولو لم يؤدّ تغييرُ مكان الكلمات في الجملة إلى تغيير المعنى ما كان هناك كبيرُ فرقٍ بين قولك : طارد الكلبُ القطَّ ، وطاردَ القطَّ الكلبُ.

كذلك قد تتفقّ كلماتُ الجملِ المتشابهة ، ولكن يكونُ الاختلافُ في توزيع الكلمات القديمة والجديدة , أمّا عن بيان المعاني المفردة للكلمات ، وهو ما يعرف باسم المعنى المعجمي حيث من الممكن أن يوجد هذا الأخيرُ دون النحويِّ وكذلك أن يوجدَ المعنى النحوي دون المعجمي ، بل من الممكن ألّا يوجدَ للجملة معنًى مع

[1] – ينظر: عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي , المرجع السابق , ص 18- 19.

كونِ مفرداتها ذوات معان، وذلك إذا كانت معاني الكلمات في الجملة غيرُ مترابطةٍ كقولي : الأفكارُ عديمة اللون تنام غاضبة. وأخيرا : دراسة التعبيرات التي يكشف معناها بمجرّد تَفسيرِ كل كلمة من كلماتها ، والتي لا يمكن ترجمتها حرفيا من لغة إلى لغة وذلك مثلُ البيتِ الأبيض في الولايات المتحدة، ومثلُ الكتاب الأبيضِ والكتابِ الأسود كمصطلحين سياسيين [1].

- **علم الدلالة والعلوم الأخرى :**

تكمُنُ العلاقةُ بين الدلالة والعلوم الأخرى ارتباطَ هذا العلمِ بالفلسفة والمنطقِ أكثرَ من ارتباطه بأيِّ فرعٍ آخرَ من فُروع المعرفة، ومنذ نحو رُبع قرن كان اللغويون يتركون السيمانتيك للفلاسفة والأنثروبولوجيين ثمّ أخذ السيمانتيك يحتلّ مكانه تدريجيا في علم اللغة إلى أن تمّ في السنوات الأخيرة تموضُعُ السيمانتيك في مكانةٍ مركزية في الدراسة اللغوية . وما يزالُ الفلاسفةُ حتى الآن يدرسون العلاقة بين اللغة والواقع ، ويتساءلون عن مدى تحقّق الصدق أو الزيف بالنسبة للشخصيات الخيالية والواردة في القِصَص مثل ساندريلا وجلفر وطرزان، ويلي علومَ الفلسفة في الاهتمام بالدلالات علمُ النفس الذي عالج الجانب الذاتي للغة, فاهتم علماءُ النفس بالإدراك ، وحيث كان الإدراكُ ظاهرةً فردية فقد طوّروا وسائل ليعرفوا بها كيف يختلفُ الناسُ في إدراكهم للكلمات ، أو في تحديد ملامِحها الدلالية, كذلك يهتمُّ علمُ النفس بكيفية اكتساب اللغة وتعلّمها ودراسةِ السبُل التي بها يتمُّ التواصل البشري وغير البشري عن طريق اللغة، ومِن أجلِ اهتمام علم الدلالة بكلّ ما يحملُ معلومات فهو يهتمُّ بالناس وعاداتِهم الاجتماعية وطُرُق الاتصال القائمة بينهم والآلات أو الوسائل المستخدمة في ذلك [2] .

- **موضوعات علم الدلالة :**

أ : دلالة الكلمة :

إنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ الدلالة تنطلقُ من الكلمات إلى الجمل حيثُ أنّ كلّ كلمةٍ مستقلة بمعناها خارج الجملة وخارج السياق، هي ذاتُ دالٍّ ومدلولٍ أو ذاتُ صورةٍ سمعيّةٍ وصورةٍ ذِهنيّة كما اعتبرها ديسوسير.

[1] – ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدلالة، المرجع السابق ص 13-14.
[2] – المرجع نفسه، ص15- 16.

جاء في كتاب الدلالة والنحو : " ليس لكلّ الكلماتِ نفس النوع من المعنى مثل الكلمات الأخرى ، فبعضها يبدو أنّ له قليلا من المعنى أو ليس له معنى ، فمثلا في نحو الأولاد يحبّون أن يلعبوا ، نجد أنّ ما له معنى في الجملة السابقة هو (ولد ، يحبّ، يلعب), ولكن ما معنى (أن) ؟ .

لقد أكّد الباحثون أنّ الكلمة التي لها معنى تكونُ قابلةً للاستبدال (...) ولقد استطاع أحدُ لغويّي القرن التاسع عشر وهو **هنري سويت** أن يميّز بين كلماتٍ كاملةٍ وكلماتٍ شكلية ، ومن أمثلة الكلمات الكاملة : شجرة، يغنّي، أزرق، لطيف ، ومِن أمثلة الكلمات الشكلية : ال، من ، و، والكلماتُ الكاملة هي التي لا معنى لها ، وهي التي نتوقع وجودها في المُعجم أمّا الكلمات الشكلية فهي عناصِرُ نحوية توضح الوظائف النحوية للغة " [1] .

وبالتالي فإنّ الكلمات من خلال هذا القول تنقسم إلى قسمين .

ويذكر صلاح الدين صالح حسين أيضا : " الكلمة ليست وحدةً لغوية محدّدة، ففي الكلام المُتصل لا تبدو حدودُ تميّز بين كلمة وأخرى، ويرى اللغويون أنّنا قد نلتمِسُ هذه الحدودَ فيما يسمّى بـ : **النبر*** ، اعتمادا على قاعدةٍ ترى أنّ بعض اللغاتِ تميلُ إلى نبر الجزءِ الأخير من الكلمة وبعضُها الآخرُ يميلُ إلى نبر الجُزء الأوّل منها أي أنّ الصوتَ يرتفِع شيئا ما في هذا الجزء عن سائر أجزاء الكلمة, وعند هذه النُقطة يُمكِنُ وضعُ حدٍّ بين كلمة وأخرى ولكنّ هذه المحاولة قد باءت بالفشل(...)، إنّ ما نطلق عليه كلمةٌ قد يكونُ وحدة بسيطة وقد يكون وحدة مركّبة فنحو ولد، وحدةٌ بسيطة ونحو الولد وحدةٌ مركّبةٌ تتكوّنُ من ال + ولد " [2] .

ومن هنا فكلُّ كلمةٍ لها دلالاتُها التي تميّزها عن غيرها من الكلمات.

ب - دلالة الجملة :

يُعتبر المعنى التقليديّ للجملة كونها تعبّر عن معنى تام، وإذا كانت الكلماتُ تمثّل الأجزاء التي تتكوّن منها الجملة فإنّ معنى الجملة يعتمِد أساسا على معنى

[1] – صلاح الدين صالح حسين ، الدلالة والنحو ، توزيع مكتبة الآداب ط 1 ، د س ص51.

[2] – المرجع نفسه , ص 52 .

***النبر كما عند الدكتور محمود السعران يعني : " أنّ عددا من المقاطع أو الكلمات يكونُ أشدّ بروزا من سائر الجملة " د. وليد مقبل السيّد , مفهوم النبر في اللغة والشعر , مجلّة كليّات التربية , جامعة القاهرة , العدد 21 , مصر, ص 59.**

مكوّناتها , أي معنى الكلمات ، ولمّا كانت الجُملة وحدةً نحوية تعتمِدُ على تنظيم الكلمات وتحديدِ وظيفة هذه الكلمات في الجملة ، فإنّ هذه الوظائف النحوية تُسهمُ هي الأخرى في تحديدِ معنى الجملة ، نحو : غشّ الزبونُ البائع، وغشّ البائعُ الزبونَ ، حيثُ أنّ كِلا الطرفين في هاتين الجُملتين له وظيفة تختلف عن الأخرى، فعندما يكون فاعلا يكون هو القائمَ بالغشّ وعندما يكونُ مفعولا يكونُ ضحيةَ هذا الغشّ، هذا هو المعنى الوظيفيّ الذي تضيفه الجُملة إلى معنى مفرداتها المُعجمي ، وبالتالي فالجُملة الأولى تختلِف عن الجملة الثانية لأنّ الفاعلية انتقلت في الجملة الثانية من الزبون إلى البائع باختلاف المعنى المراد إبلاغه [1] .

بين علم الدلالة وعلم اللسانيات :

لم تكُن نشأةُ علم الدلالة مستقلةً عن علوم اللغة الأخرى ، إنّما كان يُعدّ هذا العلمُ جُزءا لصيقا بعلمِ اللسانيات الذي كان يهتمّ بدراسة اللسان البشري إلّا أنّ عدَمَ اهتمامِ علماء اللسانيات بدلالة الكلمات كان دافعا لبعض العلماء اللغويين إلى البحث عن مجال علميٍّ يضمُّ بحثا في جوهرِ الكلمات ودلالاتها ، لكي يحدّدوا ضِمنَه موضوعاتِه ومعاييرَه وقواعدَه ومناهجَه وأدواتِه وما كان ذلك يسيرا خاصّة إذا علمنا ذلك التداخل المتشابك الذي كان يجمع بين علوم اللغة مجتمعة وعلم الألسنية الذي ذهبَ علماؤه إلى تفريعه إلى مباحثَ جمعت بين حقول مختلفة من العلوم .

ولعلّ العِلم اللساني كان يهتمُّ بوصفِ الجوانبِ الصوريّة للغة ويتجنّبُ الخوض في استبطانِ جوهرِ الكلمات ومعانيها الذي أصبَح من اهتمامات عِلم الدلالة الحديث ، كما أنّ ضرورةَ الإحاطة ببُعد اللغة الاجتماعيّ والثقافيّ والنفسيّ وتتبّع سيرورة المعنى الديناميكي كلُّ هذه حواجزُ وقفَت أمام علماءِ اللسانيات فاستبعدوا بذلك الخوضَ في دراسة المعنى وركّزوا بحوثَهم على شكل الكلمات ، إلى أن برزَ عِلمُ الدلالة ليسدّ هذا الفراغ في الدراسات اللغوية من جهة ويعمّقَ البحثَ في الجانب الدلالي للغة من جهة أخرى.

إنّ هذه المباحثَ المُتشعّبة والتي هي مِن صميمِ اهتماماتِ علم الدلالة، هي التي دفعت علماءَ الألسنية ومنهم التوزيعيّون إلى استبعاد دراسة الدلالة من اللسانيات، والحقيقةُ التي لا مِراء فيها هي أنّ دراسة المعنى لا تخلُ منه أيُّ مباحثَ لغويةٍ

[1] – صلاح الدين صالح حسين ، الدلالة والنحو المرجع السابق, ص 54 .

سواءٌ كانت قديمةً أم حديثة، ذلك أنّه لا يمكن تصوّرُ دراسةِ الكلمات وهي جوفاءُ خالية من الدلالات ، كما أنّ عِلم الدلالة كمبحثٍ من المباحث اللغوية حسب ماهية اللسانيات، يهتمُّ بحلقة من حلقات علم اللسان البشري ، هذه الحلقةُ تكمُن في المظهر الإبلاغي وما يتعلّقُ به ، فالرسالة الإبلاغية هي التي تضطلِعُ بنقل دلالة الخطاب إلى المتلقّي بحيثُ يتمّ استيعابُها استيعابا كافيا، وقد ولجت اللسانياتُ كلّ مجالات الاتصالات الإنسانية حتى غدَت ملتقى لكل العلوم الإنسانية واعتمدتها في الخطاب بأنواعه [1] .

[1] – ينظر،عبد الجليل منقور ،علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي , المرجع السابق, ص 19- 20.

المبحث الثاني :

نظرية الحقول الدلالية وعلاقتها بالنحو العربي

- الحقول الدلالية
- علاقة الدلالة بالنحو العربي
- أهمية الدلالة في تيسير النحو

- **الحقول الدلالية :**

تتميّز اللغةُ على وجهِ العموم بالشساعة من حيث المعاني والمفردات ممّا يستوجبُ حصرها أو تقسيمها إلى أُسَرٍ أو مجموعات ، أو ما يُسمّى بالحقول الدلالية ، يقول صلاح الدين حسين في هذا الصدد : " إنّ دراسة الحقول الدلالية تنتمي إلى العلاقات الرأسية الاستبدالية, وأكثرُ الأمثلة شُهرةً نظريةُ الحقل و هو المثال الذي أورده **تراير** ، فقد قارن بين حقلَ الناحية العقلية في ألمانيا في 1200م بالناحية العقلية في حوالي 1300م، في الفترة المبكرة من الحقل كان مُقسّما إلى " kunst، list " فالكلمة الأولى تشير إلى صفات التودّد والثانية تشير إلى الصفات غير الودودة ، وكلمة " wisheit" استخدمت غطاء للحقل , وفي الفترة المتأخّرة قسّم الحقلَ الى ثلاثة أقسامٍ هي " wisheit عقيدة " "kunst معرفة " " wiseen فنّ " (وهنا يُلاحظ أنّه قد فُقِدت كلمةٌ وأضيفت كلمة أخرى، وأصبحت " wisheit" جزءا من الحقل وليست غطاءً للحقل ." [1].
ويُفهمُ مِن هذا القول أنّ " تراير" قد قسّم الكلمات إلى مجموعةٍ من الحقول ، كلّ حقلٍ تنتمي إليه مجموعةٌ من الكلمات ذاتُ المعنى المتقارب بينها ، إذ يمكن استبدال لفظة بأخرى دون الإخلال بالمعنى المراد .

وقد ذكر الدكتور إدريس بن خويا في كتابه علم الدلالة في التراث العربي والدرس اللساني الحديثِ أنّه تكاد تُجمِع آراء المختصّين على أنّ الألماني جوست تريبي يرجع إليه الفضلُ في بلوَرَة وتجميع أفكار هذه النظرية ، وأنّ الحقلَ الدلالي كما يرى جورج مونان هو مجموعة من المفاهيم تنبني على علائقَ لسانيةٍ مشتركة ، ويمكنها أن تكون بنية من بنى النظام اللساني كحقل الحيوان ، وحقل الألوان ، وحقل الأطعمة والأشربة ، والولادة والحمل إلى غير ذلك من الحقول التي يصعُبُ على الدارس حصرُها في هذا المقام .

وإذا كانت الحقولُ الدلالية تحدّد على أنّها مجموعةٌ من الكلمات ترتبِطُ دلالتُها وتوضع عادة تحت لفظ يجمعها، فإنّ دي سوسير قد أشار إلى وجودِ علائقَ ترابطية دلالية بين المداخل المعجمية ، والتي بإمكانها أن تصنّفَ النظام اللساني

[1] – صلاح الدين صالح حسين ، الدلالة والنحو ، المرجع السابق، ص59 .

إلى مجموعة من الأنساق يختلفُ بعضها عن بعض، جمعها المختصون في خمس علائق وهي الترادف ، والاشتمال، وعلاقة الجزء بالكل ، و التنافر ، والتضاد ، وبواسطتها يتمّ تمييزُ المعنى من كلمة لأخرى داخل الحقل الواحد ، ومنه تكمن أهميّة الحقول الدلالية في الكشف عن أوجه الشبه والاختلاف بين تلك الكلمات المدرجة ضمن الحقل الدلالي الواحد ، وإن كان الغربيون قد نظروا إلى هذه النظرية بمبادئَ وأهدافٍ فإنّه لا ينبغي لنا أن ننسى أنّ العربَ القُدامى كانوا سبّاقين إلى هذا الطرح ، بدايةً من التأليف في الرسائل المعجمية التي تضمّ موضوعا أو تخصّصا واحدا ككتاب النبات والشجَر وخلقِ الإنسان للأصمعي ، وكتاب الخيلِ لأبي عبيدةَ بن معمر بن المُثنّى ، إلى ما يُسمى بمعاجم الموضوعات ككتاب فقه اللغة للثعالبي الذي جمع في كل باب فيه مفردات لغوية لمعنى تدلُّ على أجزائه وأقسامه أو أطواره وأحواله ، وجمعَ الفصولَ المتقاربة في المعنى في باب واحد [1] .

وفي القرن الثامن الهجري نجدُ أنّ علماءَ العرب كان لهم باعٌ طويلٌ في هذا الجانب ، مثل ابن القيّم الذي حاول جمع بعض الكلمات وترتيبها ضمن بابٍ واحدٍ أو بالأحرى حقلٍ دلاليٍّ يجمعها، وذلك نحو لفظة المحبّة التي جعل منها عدّة ألفاظٍ ولكنّها تعودُ في الأخير كلّها ضمنَ حقل الأمّ ، وهو حقلُ مراتبِ المحبّة ، حيثُ قدّمَ شرحا موجزا لتلك الألفاظ المنتمية لهذا الحقل ومنها :

اللفظة	معناها
العلاقة	وهي علاقة لتعلق القلب بالمحبوب .
الإرادة	وهي ميل القلب إلى محبوبه.
الصبابة	وهي انصبابُ القلب إليه.
الغرام	وهو الحبّ اللازم للقلب .
الوداد	وهو صفو المحبة و خالصها ولبّها.
الشغف	وهو من الحبّ الواصل إلى غشاء القلب.
العشق	الحب المفرط الذي يُخاف على صاحبه منه .
التتيّم	هو التعبّد والتذلّل.
التعبّد	وهو فوق التتيّم ، وهو غاية الحبّ وغايةُ الذلّ ولا تصلح هذه المرتبة لأحد غيرِ المولى عزّ وجلّ.
الخلّة	وهي رتبة لا تقبل المشاركة ، أو هي المحبّة التي تخلّلت روحَ

[1] – ينظر، إدريس بن خويا ، علم الدلالة في التراث العربي والدرس اللساني الحديث ، دراسة في فكر ابن القيم الجوزية، عالم الكتب الحديث،ط1، إربد الأردن 2016 ، ص 104 .

اللفظة	معناها
	المُحِبّ وقلبَه ، والتي اختصّ بها الخليلان إبراهيمُ ومحمّدُ صلوات الله وسلامه عليهما.

كما أشار أيضا إلى ألفاظٍ أخرى تنتمي إلى حقل المحبّة لا يتّسعُ المقامُ لذكرها كلّها كالشوق والهوى واللهف والحنين ليصل إجماليُّ عددِها إلى خمسين لفظةٍ تدخلُ ضمن لفظ المحبة, ونظيرُه ما نجِدُه في حقلِ ألفاظِ أطعمةِ الدعوات التي تجري مجرى الشكر، وأنّ الإطعام عند هذه الأشياء أحسنُ من تغريق اللحم حسب رأيه وهي كالآتي :

اللفظة	معناها
القِرى	طعام الضيفان.
المأدبة	طعام الدعوة.
التحفة	طعام الزائر .
الوليمة	طعام العرس.
الخرس	طعام الولادة .
العقيقة	الذبح عنه يوم يُحلق رأسه في السابع
الغديرة	طعام الختان.
الوضيمة	طعام المأتم
النقيعة	طعام القادم من سفره.
الوكيرة	طعام الفراغ من البناء.

ومن هنا فإنّ ابن القيّم قد بذل جهدا كبيرا لا يقلّ عمّا فعله اللغويّون الذين عملوا بهذا المنهج في جمع الألفاظ وتبويبها ضمنَ حقل دلاليٍّ واحد [1] .

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ نظرية الحقول الدلالية قد ساهمت في خدمة اللغات بشكلٍ كبيرٍ خصوصا العربية، يذكر عبد الجليل منقور: " إنّ نظرية الحقول الدلالية ، قد أسهمت بشكلٍ بارزٍ في إيجاد حلولٍ لمشكلاتٍ لغوية كانت تُعدُّ إلى زمَنٍ قريبٍ مستعصيةً، تتّسمُ بالتعقيد ومن جملة تلك الحلول الكشف عن الفجوات المعجمية التي توجد داخل الحقل الدلالي ، وتسمّى هذه بالفجوة الوظيفية أي عدم

[1] – ينظر، إدريس بن خويا ، علم الدلالة في التراث العربي والدرس اللساني الحديث، المرجع السابق ص 107-108.

وجود الكلمات المناسبة لشرح فكرةٍ معينة أو التعبيرِ عن شيءٍ ما ، كذلك إيجادُ التقابلات وأوجُهِ الشبَه والاختلافِ بين الأدلّة اللغوية داخل الحقل الدلاليِّ الواحد ، وعلاقتها باللفظ الأعمِّ الذي يجمعُها ويمكن بناءً على ذلك إيجاد تقاربٍ بين عدّة حقول معجمية ، كما تتمثّلُ أهميّةُ الحقولِ الدلالية في تجميع المفردات اللغوية بحسب السماتِ التمييزية لكلّ صيغة لغوية " [1] .

ومن هنا تمّ تفادي الكثير من العقبات والعوائق التي تواجهُ اللغة على وجه العموم والباحثين على وجه الخصوص ومنها عدمُ نجاح العملية التواصلية بسبب نقص المفردات المساعدة في شرح الأفكار، إضافةً الى وقوع الاختلافاتِ بين الباحثين في مختلف مجالات البحث اللغوي , كما يذكرُ أيضا : " هذه التفريعات التي بحثها العلماء ، تعتبر أسس الدراسة في مبحث الحقول الدلالية الذي برز في شكله الأوَّليّ في صورة المعاجم اللغوية التي صنَّفت الأشياء الموجودة في عالم الأعيان ، ونتيجة لتقدّم العلوم وتشعّب المعارف ، احتاج الإنسانُ إلى تصنيفٍ علميٍّ جديدٍ يؤطّرُ معارفَه ويمنَعُ عنه اللّبسَ المُصاحِبَ لاستعمال اللّغة التي هي أداة المعرفة والعلم ، فتوصّل إلى وضع معاجمَ لغويّةٍ جامِعة ومصنّفة لمفردات اللغة بشكلٍ دقيقٍ ، اصطلح على تسميتها – نظرا لسيادة النظرة الطبيعية العلمية في ذلك العصر – بالحقول الدلالية "[2] .

ومن هذا المنطلق كانت هذه عبارة عن طفرة لغوية ساهمت في العمل على خدمة اللغات أجمع واللغة العربية على وجه الخصوص ، كون هذه الأخيرة ذات ألفاظ دقيقة ومعاني عديدة ، ومما يجب الإشارة إليه أن الحقول الدلالية كثيرة ومتعددة كل حسب سياقها ومقتضاها اللغوي.

- **علاقة الدلالة بالنحو العربي :**

إنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ اللغة عبارةٌ عن أصواتٍ يعبّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم كما قال ابن جنّي منذ أكثر من ألف سنة، والأغراضُ هي المعاني أو الدلالاتُ التي يُراد نقلُها من متكلّمٍ إلى مستمع ، ونفس هذا المفهوم قدّمه أرسطو قبله بمئات السنين حيث يرى أن الكلام نتاج صوتي ، أمّا أوتو يسبر بعده فإنّه يرى نّ جوهرَ اللغةِ نشاطٌ إنسانيٌّ ، نشاط من قبل الفرد ليجعل نفسه مفهوما من الآخرين ونشاطٌ

[1] – عبد الجليل منقور ،علم الدلالة ,أصوله ومباحثه , المرجع السابق, ص77.

[2] – المرجع نفسه، ص 77-78.

من قبل الآخرين ليفهموا ما يدورُ في عقل الفرد ، وأنّ كلّ ظاهرةٍ قد يُنظر إليها من جهة الشكل الخارجيِّ أو مِن جهةِ المعنى الداخليّ وفي الفترة المبكّرة للنحو العربيّ ، كان أتباعُ مدرسةِ الكوفة يقولون عن سيبويه إنّه أعمل كلام العرب على المعاني وخلّى على الألفاظ ، أي أنّه أولى الجانب الإدراكيَّ رعايةً واهتماما على حساب الجانب الصوتيّ أو بالأحرى اهتمّ بالدلالة وليس بالدالّ .

وإذا أمعنّا النظرَ فسوف نجد أنّ الجانبَ اللغويَ نفسَهُ للعلاقة الموصوفة في القواعد النحوية عقليٌّ في طبقةٍ من طبقات تفسيره ، فليست علاقة الفاعلية والمفعولية وغيرهما في منتهى النظر الصحيح إلّا علاقة يقيّمُها العقلُ البشريُّ للمتكلّمين باللغة والرمز بها لدلالة خاصة، وقد أصبحت الدلالةُ منذ مطلع القرن العشرين فرعا من فروع البحث اللغوي مُعترفا به في علم اللغة [1] .

إنّ مُدرّسَ اللغة الأجنبية يعرف أنّ الطالبَ الذي لم تتكوّن لديه ملكَة اللغة غيرُ قادر على تركيب جُمل صحيحة في نِطاق اللغة التي يتعلّمها انطلاقا من القواعد النحوية وحدها ، أو المفردات اللغوية وحدها، إنّه مع هذين الجانبين محتاجٌ إلى أن يأخُذ في الحسبان العلاقات الدلالية بين الكلمات في الجملة ، وإذا لم يكن مزوّدا بقواعدِ اختيار هذه الكلمات التي تُخصّصُ لسياق الجملة المناسب ، فسوف يكونُ قادرا على تكوين جُمَلٍ صحيحة نحويا لكنّها لا تؤدي المعنى ، أو تحتوي على كلماتٍ مُستعملة بمعنى خاطئ في إطار نحوي خاص ، ومن جانبٍ آخرَ نجِدُ أنّ المتكلّم الأصليَّ باللغة يملك القدرة على تمييز الجُمل غير الصحيحة نحويا و دلاليا ، ويمكنه كذلك أن يلاحظ المشترَك اللفظيّ في لغته كقوله : رأيت ماء العين ، فإنّ العين قد تشير إلى بئر الماء أو العين المُبصرة للإنسان ، لأنّ ما يُعرفُ بالمشترَك اللفظيِّ في الحقيقة لا يكون كذلك إلّا إذا كانت الكلمةُ مُنعزلة وحدها ، ولكنّها إذا دخلت في جُملة لها سياق لن تكون كذلك ، وفي نحو اللغة العربية يزدوج مكان العنصر الدلالي فهناك جانبٌ يقوم على اعتبار العلاقات القائمة بين الوظائف النحوية ، أو عناصر النموذج الفكري للجملة أو ما يسمّى في الجملة بالبنية الأساسية وهي الصورة التجريدية لتركيب الجملة , أمّا الجانب الثاني الذي يزدوج مع السابق في إمداد الدلالة ، فهو اختيار الكلمة المنطوقة التي تشغل الوظيفة النحوية لتصبح صالحة للدخول في علاقة نحوية معينة مع كلمة أخرى

[1] – ينظر، محمد حماسة عبد اللطيف ، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، دار الشروق ، ط1، بيروت 200م , ص 39...45 .

تشغل وظيفة في الجملة الواحدة وبذلك يكون التفسير الدلالي النحويّ مركّبا من المعنى الأساسيّ ومن اختيار المفردات التي تشغل هذه المفردات معا [1].

النحو الشكلي :

ظهر بعضُ اللسانيين الذين فرّقوا بين النحو والدلالة حيث اكتفوا بالشكل وحسب , ما يجعل من رأيهم محلَّ نظَرٍ , يقول صلاح الدين حسن : " عندما تناولَ اللّسانيون دراسة النحو لم يقبلوا وجهة نظَرِ العلماء القدامى القائمة على شرح المقولات النحوية شرحا دلاليا، فلقد عرّفوا الأسماء مثلا بأنها تدلُّ على الأشياء وعندما شرحوا النحو ربطوا بينه وبين الجنس ، لذا قسموا النوع في اللغة إلى مذكر ومؤنث قياسا على تقسيم الإنسان في الطبيعة إلى مذكّر ومؤنّث ، وربطوا العدد في اللغة بالمفرد والمؤنث والجمع في الطبيعة " [2] .

ومن هذا المنطلق يدرُسونَ الجملة باعتبار شكلها الخارجيّ بِغضّ النظَرِ عمّا تؤدّيه من معنى .

ويقولُ أيضا : " رأى اللسانيون وجوبَ التمييز بين الدلالة والمقولات النحوية ويجبُ تعريف المقولات النحوية في ضوء الوظيفة اللغوية وليس في ضوء معانيها فالفعل مثلا يشغل وظيفة المُسند والاسمُ يشغلُ وظيفة المسند إليه ...وهكذا , وحلّل اللسانيون الشكليون الجملة تحليلا مباشرا يقومُ على إيضاح العلاقات النحوية ويهدف مثل هذا التحليل إلى إيضاح الطبقات النحوية المكوِّنة للجملة والعلاقات فيما بين هذه الطبقات ." [3] وبالتالي فإنّ الشكلانيينَ لم يبقوا على القاسم المشترك بين النحو والدلالة و فرّقوا بينهما ، ومن جملة هذه الفروقات كونُ النحوِ والدلالة عِلمين كلٌّ منهما قائم بذاته ، وكلّ له ضوابطه وقواعده ، كما أنّ الدلالة خاصّة بالمعاني والمدلولات أمّا النحوُ فهو خاصٌّ بتركيب الجمل والكلمات .

حاجة النحو الشكلي إلى المعنى :

---

[1] – محمد حماسة عبد اللطيف ، النحو والدلالة,المرجع السابق، ص 46...49 .

[2] – صلاح الدين صالح حسين ، الدلالة والنحو، المرجع السابق ، ص 110.

[3] – المرجع نفسه ،ص 110 .

بعد ظهور النظرية التحويلية التوليدية عاد الجدلُ حول المعنى والنحو الشكلي ، حين ألحَّ تشومسكي على وجود تركيبٍ عميقٍ نستطيع من خلالِه أن نربطَ بين جُملتين ، كالجملة المبنية للمجهول ، نحو كتب الدرسَ ، فهذه الجُملة تمثّل التركيبَ السطحيَّ أما التركيبُ العميق فهو كتبَ الولدُ الدرس ، وبالطبع جزء من التركيب يحتاجُ إلى قواعد تحويلية لنقل البنية العميقة إلى بنية سطحية ، ومن الضروريّ أن نوضِّحَ أنّ البنية العميقة تضمُّ قاعدة الأساس وهذه القاعدةُ تتكوّنُ من عنصرين : عنصرٍ مقوليٍّ وعنصرالمعجم ، يضم عنصر المقولات كلَّ الأدوات النحوية ، بينما يضمُّ عنصرُ المعجم قائمة بكلِّ الوحدات المعجمية وتحتوي على المعلومات النحوية والمعجمية الضرورية ، وهناك باحثون آخرون يرون أنّه إذا كان هناك تركيبٌ عميقٌ ما فإنّه يجب أن يكون هناك تركيب أعمق ، وهذا التركيب الأعمق يجِبُ أن يكون تركيبا دلاليا بالضرورة وليس تركيبا نحويا ، وبهذا المعنى لا يكون العنصر الدلالي تفسيريا لأنّه هو المصدر الأساسي للنحو، إنّ الدلالة إذن عنصرٌ توليديٌّ والآراءُ حول هذه النقطة كثيرة ومعقّدة وأحد هذه الآراء إثارةً هو الرأيُ الذي يرى أنّ تحليلات التركيب العميق للعلاقات بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول متغيرة [1] .

كما يذكرُ صلاح حسين في ذات الموضوع : " ومِن هُنا يلحّ كثيرٌ من الباحثين ومن بينهم لاكوف مثلا على أنّ التركيبَ العميق يجِبُ أن يكون تركيبا دلاليا ، والخُلاصة أنّ هناك اتجاهين في الدرس اللغوي المعاصر : اتجاهٌ يربط النحو بالدلالة ويرى أن النحوَ هو الأساسُ و الدلالة عنصر تفسيريٌّ ، هذا الاتجاه تبنّاه تشومسكي واتجاهٌ آخر يرى أنّ الدلالة هي التركيبُ العميقُ للجملة وأنّ النحو ليس سوى وسيلةٍ لتحويلِ التركيبِ العميقِ إلى تركيبٍ سطحيٍّ وهذا هو الاتجاهُ المسمّى بالدلالة التوليدية " [2] .

ولعلّ القولَ الأرجحَ هو كونُ الدلالة لا تكادُ تنفصِلُ عن النحو خصوصا في الوقت الراهن.

و تُعدُّ الاستقامة النحوية أو استقامةُ اللسان مقرونةً باستقامة المعنى أو دلالةِ التراكيب وحسنِ تأديتها للمعنى المطلوب ، جاء في كتاب علم الدلالة التطبيقي : " فالقضيةُ إذا في النحوِ ليست مجموعة من العمليات النظرية والذهنية التي يتم من

[1] – صلاح الدين صالح حسين ، الدلالة والنحو، المرجع السابق, ص 16 .
[2] – المرجع نفسه ص 16 .

خلالها التمييز بين أنواع التراكيب والبُنى الاسمية والفعلية ، أو الخبرية والإنشائية أو المُثبتة والمنفية ، أو غير ذلك من أنواع التراكيب وإنّما لقضيّةٍ تتعدّى ذلك كلّه إلى قدرة هذه القواعد النحوية على التمييز بين تلك الأنواع من التراكيب وفرزِ ما يشكّل جُملا وعباراتٍ سائغة ومقبولةٍ نحويا ودلاليا ، وما لا يشكّل جُملا مقبولةً لا على مستوى النظام النحوي المعهود في لغة ما ، ولا على مستوى الدلالة المستفادة "[1] .

فالمعنى هنا لا يكادُ يفارِقُ القاعدة ، وذلك نحو قولك : أكل زيدٌ التمر , حيثُ أنّ الجُملة صحيحةٌ مِن حيثُ التركيب ' فعل ، فاعل ،م به ' كما أنّها مستصاغةٌ دلاليا على الشكل الصحيح .

- **بين النحو والمعنى :**

إنّ ارتباطَ دراسة النحو بالمعنى والمضمون والغاية غايةٌ يدعو إليها كثيرٌ من أساتذة اللغة العربية ، ويؤكّدون على ضرورة مزج معطيات علم النحو بمعطيات علم المعاني لتنظيم دراسةِ الفُصحى على أساس جديد، كما أنّ المزاوجة بين النحو ليست بدعا ابتدعه باحثونا المُحدثون إنّما هي عودة إلى ما قرّره عُلماء النحو الأوائل من أهميّة المعنى للنحو بحيثُ لا يمكن الفصلُ بينهما كما أكّد ذلك المبرّد بقوله : إنّ كلّ ما صلح به المعنى فهو جيّد وكلّ ما فسد به المعنى فهو مردودٌ وبالتالي يكونُ المعنى معيارا للتحكّم النحوي ، فلا جِدالَ إذن في أهمية دراسة النحو على أساس المعنى ، فهي ضرورةٌ فوق كلّ ضرورة ، وهي تكسب موضوعات النحو جدّة وطرافة ، وتبرزُ مزايا اللغة العربية الدافقة بالحيوية ، الحافلة بالمعاني الدقيقة الجميلة ، وتجعلُنا نرى النحو على حقيقتِه ، وتكمُنُ أهمية المعنى في أنّه قوام اللغة العربية ، فاللغة أصواتٌ ، إلّا إذا عبّرَت عن معنى

فحينئذٍ تكونُ لغة ، ولا انفصام بين الشكل والمعنى ، لأنّه لا وجودَ لأيٍّ منهما بدون الآخر ، وانتزاعُ أحدهما من الآخر قتل للاثنين [2] .

- **أهمية الدلالة في تيسير النحو :**

[1] – هادي نهر ، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، دار الأمل للنشر والتوزيع ط1 ، الأردن ، 2007م ص 113 .

[2] – ينظر، صالح عبد العظيم الشاعر ، حركة النحو والدلالة في النص الشعري ، دراسة تطبيقية ، دار الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، جمهورية مصر العربية، 2013 ص 25-26 .

إنّ الدارسَ لعلمِ الدلالة بمختلَف فروعه ومباحثِه لا شكّ في أنّه يجِدُ سهولة وسلاسة كبيرة في إتقان علمِ النحو لما يقابلُه من تيسير وبساطة لأنّ التراكيب تختلِفُ من جملةٍ لأخرى والمعاني تتبعها أيضا، فما الفرق في قولنا : إن تسهرْ تتعبْ ، إن تسهرْ تعبتَ ، إن سهرتَ تعبتَ، إن سهرتَ تتعبْ (بالجزم)، إن سهرتَ تتعبُ (بالرفع)، إن سهرتَ فتتعبُ، إن سهرتَ فأنت تتعبُ ، إن أنت سهرتَ تعبتَ ، أنت إن سهرت تعبت ، أنت تتعبُ إن سهرت؟ وما الفرق بين قولي : عندي سوارٌ من ذهبٍ وعندي سوارٌ ذهَبَا وعندي سوارُ ذهبٍ وعندي سوارٌ من الذهب ؟ وغير ذلك من الموضوعات النحوية دون استثناء، وبالتالي يمكِنُ القولُ بأنّنا لا نفهمُ اللغة كما ينبغي لأنّ أكثر دراستنا تتعلّقُ بالعلاقات الظاهرة بين الكلمات أمّا المعنى فهو بعيدٌ عن تناولِنا وفهمِنا ، أو أنّنا نجهلُ أكثرَ ممّا نعلم فيما نحسب أننا نعلم.[1]

ومن هذه المنطلقات نجدُ أنفسنا مُلزمين بالاهتمام بعلم الدلالة والمعاني ، جاء في معاني النحو : " نحنُ محتاجون إلى فقهٍ للنحو يصِلُ إلى درجة الضرورة ، صحيح ٌأنّ قِسما من المسائل المُتعلّقة بالمعنى عرَضَ لها عِلم النحو ، وعِلم البلاغة ، لكن لا يزالُ كثيرٌ منها دون نظر ، ومن ذلك على سبيل المثال ، ما عرضتُه قبلَ قليل ، فإنّ أكثرَ هذه المسائل لم تُبحث لا في كُتُب النحو ولا في كتب البلاغة ، ولا في غيرِها من كُتُب اللغة ، في حُدود ما أعلم (...) ، إنّ دراسة النحو على أساس المعنى ، عِلاوةً على كونها ضرورةً فوق كلِّ ضرورة ، تعطي هذا الموضوعَ نداوةً وطراوَةً ، وتكسبه جدّة وطرافة، بخلاف ما هو عليه الآن من جفاف وقسوة " [2] .

وهذا ما هو معلوم في الوقت الراهن .

كل هذا يعود بالفضل على تيسير النحو ولعلّ تركَه أمرٌ جلَلٌ لأنّ الجهل بالمعنى أدّى إلى أن تختفي وتموتَ ظواهرُ لغويّة كانت شائعة مستعملة ومن ذلك على سبيل المثال ظاهرة القطع الجميلةِ الدلالة ، والتي كانت شائعة شيوعا كبيرا في

---

[1] – ينظر، فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو ، ج 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط1، عمان 200م ص 7- 8 .

[2] - فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو ، المرجع السابق، ص 8 .

الشعر والنثر القرآن وغيره فالأوجه النحوية ليست مجرّد استكثار من تعبيراتٍ لا طائل تحتها كما يتصور بعضهم [1].

- **مثال توضيحي : معاني أفعال الشروع :**

ذكر الدكتور فاضل صالح السامرائي في كتابه معاني النحو عدّة أغراضٍ ومعانٍ لأفعالِ الشروع التي تدلّ على البدء بالفعل والقيام به ، وهي كثيرةٌ أشهرُها أخذَ ،أنشأ، جعلَ ، وطفِق، قام ، وهَبَ وعلق , فأخذ أصله أخذ الشيء ،أي حازه لنفسه وأمسكه ، وأخذ في الفعل أي بدأ يفعله فعندما نقول : أخذ يفعل كان المعنى كأنّما حاز الفعل لنفسه وأخذه فهو يفعله ، وأمّا جعل وأنشأ فأصلُ معناهما أوجَدَ لكن في معنى أنشأ خصوصيةٌ أنّ فيها معنى التربية والتنشئة يقال : نشأ ينشأ أي ربا وشبّ فإذا قلتَ جعل يفعلُ كان المعنى كأنّه أوجد الفعل يفعله , وأمّا قام (قام يفعله) فإنّ المعنى كأنّك قُلتَ نهض به، فهو عليه قديرٌ وأنّه مُحافظ على هذا الفعل فهو يفعله، وأصلُ طفِق : من طفِق الموضعَ أي لزمَه ،فإذا قلتَ طفِق يفعل كان المعنى أنّه لزم الفعل وواصله واستمرّ عليه ، وهذا الاختلافُ في دقّة اللفظ يؤدّي إلى دِقّة معناه وبالتالي يختلفُ إعراب المفردات من تركيبٍ لآخر نحو قولي :

وجدت الأمُّ ابنها .

وجدت الأمُّ ابنها مناسبا للزواج .

فالمثال الأوّل تتكوّن تركيبته من فعلٍ وفاعلٍ ومفعول به ومضاف إليه ، أمّا المثال الثاني فيتكون من فعل وفاعل ومفعولين وشبه جملة ، مع أنّ الفعلَ نفسَه في المثالين إلا أنّ معناهما اختلفَ من عِبارة الى أُخرى فتغيّر تركيبُ الجُملة وهذا ما وجب التنويه عليه[2] .

- **القرائن النحوية :**

تُطلق القرينة في اللغة على الفقرة، وهي بمعنى الفاعلة مأخوذة من المقارنة ، وفي الاصطلاح أمرٌ يشير إلى المطلوب ، وهي إمّا لفظية كالترتيب في نحو (ضرب موسى عيسى) حيثُ دلّت القرينة على أنّ موسى فاعل ، وعيسى مفعول

[1] – فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو ، المرجع السابق ،ص 8, 9.

[2] - المرجع نفسه , ص 284.

، أو معنوية نحو (أكل الكُمّثرى موسى) و(أرضعت الصُغرى الكُبرى) ، أو حالية نحو(راشدا مهذبا) ، إذا قيل لحاجٍّ مُزمعٍ على السفر ، والتقديرُ اذهب راشدا مهديا، وقلّما يتّضح التركيبُ النحوي بقرينةٍ واحدة، والغالبُ الكثير أن تجتمعَ عدّةُ قرائنَ للدلالة على المعنى النحويّ كما في الأمثلة السابقة، حيثُ أُعرِب (موسى) فاعلا في المثال الأول، لتقدُّم الفعل، وبنائِه للمعلوم ، وسبقه لعيسى في الترتيب ، ولأنّه قادر على القيام بذلك الفعل ، وأُعربت (الكُمّثرى) في المثال الثاني مفعولا به، لكونِها هي المأكول ، ولوجود فعلٍ دالٍّ على الأكل ، كما أُعربت (الكبرى) فاعلا مع تأخّرها، لأنّ العادة تشهدُ بأنّ الكبرى هي المُرضعة ، ولتقدّم فعلٍ مبني للمعلوم، دالٍّ على معنى الإرضاع، وأُعربت كلمةُ (راشدا) حالا لكونها منصوبة، وهذه قرينة إعراب .

وقد قُسِّمت القرائن النحوية حسب تمّام حسّان إلى معنوية ولفظية وهي :

القرائنُ المعنوية :

الإسناد : وهو علاقة المبتدأ بالخبر ، والفعل بفاعله، والفاعل بنائب فاعلِه والوصفُ المُعتمد بفاعله أو نائبِ فاعله وبعض الخوالِف بضمائمها .

التخصيص : وهو علاقة سياقية كبرى ، وإن شئت فقل : قرينة معنوية كبرى تتفرع إلى قرائن معنوية أخُصّ منها التعدية ،الغائية، المعية، الظرفية، التحديد والتوكيد، الملابسة، التفسير، الإخراج والمخالفة.

النسبة : تتّخِذ قرائن في التحليل والإعراب، وفي فهمِ النصّ بصورة عامّة وهي ما نسمّيه حروفَ الجرّ ومعها معنى الإضافة.

التبعية : وقرائنُها وهي النعت والعطفُ والتوكيدُ والإبدال .

القرائن اللفظية : وهي العلامة الإعرابية، الرتبة، مبنى الصيغة، المطابقة، الربط، التضامّ، الأداة والنغمة أو التنغيم [1] .

[1] - ينظر،محمد محمد يونس علي ، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية ، ط2، دار الكتب الوطنية، بنغازي ، ليبيا، 2007م ص317,318,319 .

المبحث الثالث

دلالاتُ النصّ عند البشير الإبراهيمي

(الجانب التطبيقي)

الحقول الدلالية للمعجم النصّي الإبراهيمي

- الدلالة الصوتية
- الدلالة الصرفية
- الدلالة التركيبية
- الدلالةالأسلوبية

" العربية : فضلها على العلوم المدنية وأثرها في الأمم العربية "

جاء في الآثار : " أيّها الإخوة الكرام :

كلّفني الأستاذُ الرئيسُ أن أحاضرَ هذا الجمعَ العربيّ الحاشد بكلماتٍ في ناحية زاخرة من نواحي لغته الجليلة، وجانبٍ عامرٍ من جوانِبِها الفسيحة – وهو فضلُها على العلم والمدنية وأثرها في الأُمَم غير العربية – إشادة بفضل هذه اللغة الشريفة ، في هذا الاحتفال العلمي ، ووفاءً ببعض حقّها علينا وحفزا لهممكم – وأنتم أبناؤها البررة – أن تهنَ في خدمتها أو تقصر في حقها ، وإعلانا للمعنى الذي قامت جمعية العلماء بتحقيقه ، وهو إحياء هذه اللغة وإحياءُ الدين الذي ترجَمَت محاسِنَه واضطلعت بحملِ أسراره.

ثُم عهد إليّ الأستاذُ أن أكتبَ ما أُلقيه عليكم ليعمّ نفعه السامعين والقارئين، وإنّ هذا الموضوع الذي سامني الأستاذُ الكتابة فيه موضوعٌ علميٌّ تاريخيٌّ لا تعلق الحافظة بأسبابِه كلّها ولا تقوى على جمع أطرافِه ، وإنّما عمادُه البحث والتنقيب وإقامة الشواهد وحشد النصوص، وهذا ما لا يسمحه وقت التكليف وهو يومان تتخلّلهما فروض المجلس الإداري وواجبات جمعية العلماء , لذلك كلّه سلكت في الكتابة مسلكا أدبيّا يستمدّ من الخيال أكثر ممّا يستمدّ من الحقيقة ويعتمد على الخَطابة أكثر ممّا يعتمد على البرهان ، ويرمي الى إلهاب الحماس في نفوسكم أكثر ممّا يرمي إلى تقرير الحقائق كلّها فيها.

فإن بلغت رضاكم بما تسمعون فذلك ، وإن قصُرتُ عن الغاية كان ضيقُ لوقت وسِعَةُ الموضوع شفيعي في التقصير.

أيّها الإخوة، انشقّت اللغة العربية من أصلها السامي في عصور متوغلة في القدم، وجرت في ألسنة هذه الأمّة التي اجتمعت معها في مناسب المجد و أرومات الفخر ، وشاء الله أن يكون ظهورها في تلك الجزيرة الجامعة بين صحو الجوّ وصفو الدوّ والمحبوّة بجمال الطبيعة ومحاسِن الفطرة لتتفق أذهانُ عُمّار تلك الجزيرة عن روائع الحكمة مجلوّة في معرض البيان بهذا اللسان ، وقد كانت هذه اللغة ترجمانا صادقا لكثير من الحضارات المتعاقبة التي شادها العرب بجزيرتهم

, وفي أوضاع هذه اللغة إلى الآن من آثار تلك الحضارات بقايا وعليها من رونقها سِمات، وفي هذه اللغة من المزايا التي يعِزّ نظيرها في لغات البشر الاتساع في التعبير عن الوجدانيات ، والوجدانُ أساس الحضارات والعلوم كلها وهذه المدينة التي تردّد لفظها الألسنُ ويصطلِح المؤرّخون على نسبتِها إلى أُمَم مختلفة ويميّزون بينها وبطوابع خاصّة ويشتدّ المتعصّبون في احتكارها لأمّة دون أمّة كأنّها خُلقت معها أو كأنّها ذاتية لها ، هي في الحقيقة تراثٌ إنسانيٌّ تسلّمُه أمّة وتأخذه أمّة عن أمّة فتزيد فيه أو تنقصُ منه بحسب ما يتهيّأ لها من وسائل وما يؤثّرُ فيها من عوامل , وخيرُ الأمَم وأوفاها للمدينة هي الأمّة التي تقوي الجهات الصالحة في المدينة وتكمِلُ النقائص الظاهرة فيها ، وتسعى في نشرها وإشراك الناس كلّهم في خيراتها ومنافعها ، وخير اللغات ما كانت لسانا مبينا للمدينة تسهِّلُ على الناس سبيلها وتمهّد لهم مقيلها.

وقد أصبح احتكار المدنيّة لأممٍ خاصّة تقليدا شائعا متعاصيا عن التمحيص والنقد ، ومن هذا الباب احتكار الغربيين للمدنيّة القائمة اليوم ، وما هي في الحقيقة إلا عُصارة الحضارات القديمة ورثها الغربيون عمن تقدمهم ، وقاموا عليها بالتزيين والتحسين والتلوين وطبعوها بالطوابع التي اقتضاها الوقتُ وانتحلوها لأنفسهم أصلا وفرعا ، ولا تزال التقنيات عن مخلّفات الحضارات القديمة التي تكشف كل يوم عن جديد يفضحُ هؤلاء المحتكرين ويقلّل من غرورهم.

ومن العجائب أنّ هذه الحضارة القائمة الآن تساندت في تكوينها وفي تلوينها عدّة لغات مختلفة الأصول ، ولم تستطع أن تقوم بها لغة واحدة على حين أن العربية قامت وحدها ببناء حضارة شامخة البنيان ولم تستعر من اللغات الأخرى إلا قليلا من المفردات.

أيها الإخوان : ازدهرت حضارات الأمم القديمة من العرب وفارس والهند والصين ومصر واليونان والرومان وزخرت علومها، وكانت كلّها مبنيةً على أصولٍ عامّة متشابهة، وكانت لكلّ حضارةٍ لغتُها المعبّرة عن محاسِنِها والكاشفة عن حقائقها، وكان لتلك اللغات أثرٌ بيّنٌ في بقاء الحضارة وانتشارها ، وكلّ من

بقاء الحضارةِ وانتشارِها يتوقّفُ على ما في اللغة من قوّة وحياة واتساع ، فاللغة من الحضارة جزء لا كالأجزاء ، كاللسان من البدن عضو لا كالأعضاء ، ثم اندثرت تلك المدنيّاتُ والعلومُ إلّا ما بقي من آثار الأولى منقوشا على الأحجار ،

وما بقي من آثار الثانية مكتوبا في الأسفار , ولولا اللغاتُ لم نتبيّن من الحضارات ما تبيّناه ." [1]

الحقول الدلالية للمعجم النصي الإبراهيمي :

يحتوي النص أعلاه على مجموعةٍ من الحقول الدلالية التي وظّفها الكاتبُ قصد التنويع والتوزيع في أفكار النص والتي تصُبُّ كلّها في حقلٍ واحدٍ وهو أهميّة العربية فمِنها ما ينتمي إلى الطبيعة ومنها ما ينتمي إلى التراث ومنها ما ينتمي إلى حقلِ الأماكن ويمكن ذكرها فيما يلي :

1) وظّف الكاتبُ مجموعة من الألفاظ التي تدخل ضمن حيّز أو حقل العلم والمعرفة وهي : " الأستاذ، الجمع، لغة، العلم، العلماء، السامعين، القارئين، الموضوع، الكتابة، البحث، التنقيب، النصوص، الشواهد، المجلس، مسلك أدبي، العربية، الحكمة، البيان، النقد، التمحيص، تقدم " بحيثُ أنّنا لو دقّقنا النظرَ فيها لوجدناها تدلّ كلّها على لفظٍ أو فكرةٍ واحدة .

2) وظّف أيضا مجموعةً من الألفاظ تعبّر عن الأماكن والبلدان وذلك بقوله : " العرب، المدينة، فارس، الهند، الصين، مصر، اليونان، الرومان " وهي عبارةٌ عن أماكنَ دعَم بها الكاتب خِطابه وتنتمي كلّها إلى حقل واحد.

3) اعتمد أيضا على حقل الطبيعة ويتجلّى ذلك في قوله : " الجوّ، خيرات، البشر، تلوين، الأحجار، الفطرة. " وممّا لا شكّ فيه أنّ كلّ خطابٍ أو نصٍّ لا يكادُ يخلو من لفظة واحدة تخصُّ حقلَ الطبيعة لأنّ هذه الأخيرة تعطي القارئ نظرةً نفسية متفتّحة حول ما يقرأ أو يسمع ذلك لأنّ الإنسان بطبعه عاشقٌ للطبيعة .

4) كما نجِدُ في النصّ حقلا آخر وهو حقل التراث : " الحضارات، البحث، تقدّم، تاريخي، عصور، الأمم، آثار، بقايا، الأوضاع، المؤرّخون، إحياء " وهذه ألفاظٌ كلها تدلّ نوعا ما على الشيء القديم أو الأمرِ الذي لا يمكنُ التخلّي عنه وبالتالي إن دلّ هذا على شيء فإنّه يدلُّ على أنّ الكاتب ومن خلال موضوع خُطبته يحثُّ على استحضار قيمة اللغة العربية ومعرفة مكانتها العريقة منذُ الأزل إلى يومنا هذا وفي مكاننا هذا.

---

[1] - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، دار الغرب الإسلامي،1997 ،ص 373- 374-375.

5) كما نلمس أيضا أثرا لمجموعةٍ من الألفاظ التي تنتمي إلى حقل الصفات أو المواصفات ويتجلّى ذلك في قوله : " المجد، الفخر، سِمات، مزايا، احتكار، تقليد، تحسين، غرور، شامخة. " وهي مجموعة من الألفاظ ينعتُ بها الكاتب أمورا معيّنة قد ذُكرت في النص.

ولعلّ الكاتب جعل بين هذه الحقول المذكورة علاقةً وثيقةً بحيث تعبّر عن محتوى واحد وهدفٍ يضَعُه الخطيبُ نصب عينيه ليوصِلَ الرسالة إلى المتلقّي بأتمّ وجه ممكنٍ ولنجاح عملية الإقناع والتوجيه ويكمُنُ هذا الهدَفُ في ما كُلّف به من طرف الرئيس.

- **الدلالة الصوتية :**

يُعتبرُ الصوتُ أكثر جانبٍ مهمٍّ في دراسة وتحليل النصوص اللغوية حتى أنّ اللغة وفي تعريفِها , منهم من يعتبرها مجموعةً من الأصوات للتعبير عن الذوات وذلك لما يحتويه من زبدة علمية وفيرة ، يقولُ محمد محمد يونس علي في هذا الصدد : " تستطيعُ أعضاءُ نطق الإنسان أن تنطِقَ بعددٍ لا يُحصى من الأصوات، وليس ثمّت لغةٌ من اللغات تستثمر كلّ إمكانات جهاز النطق البشري ، بحيث تستغرق أصواتها كل الأصوات التي يمكِنُ للإنسان أن ينطق بها، بل تكتفي كلُّ لغةٍ بعدد محدود من الأصوات، يمكِنُ للّغوي أن يميّزها بملاحظة الفروق التي تميّزُ كلّ صوت من آخر، من خلال اختلاف صفاتها ومخارجها فإذا أراد دراسة لغةٍ ما دراسةً صياتية فسيتحتّمُ عليه أن يقوم بدمج كل مجموعة من الأصوات ، متقاربةٍ عادةً في صفاتها وفي مخارجها ، ومشتركةٍ في وظيفتها.." [1] .

وبالتالي فإنّ الصوتَ أهمُّ ما يميّزُ اللغة عن غيرها من اللغات بحيث إنّ ما تحتويه كلُّ لغة من أصواتٍ قد لا تحتويه لغة أخرى والعكسُ صحيح أيضا وبالتالي من الواجب الإحاطة بالجوانب الصوتية للغة .

و يعتبر الصوتُ في الجمَل العربية محلّ دراسة الكثير من العلماء والباحثين لأنّ كلّ تغييرٍ في صوتِ عبارةٍ أو لفظةٍ أو حرف معيّنٍ إلا وله دلالتُه الخاصّة والتي تتغيّرُ من موضعٍ إلى آخر، ويقول محمد محمد يونس علي : " ويقتضي هذا

[1] - محمد محمد يونس علي ، المعنى وظلال المعنى، المرجع السابق ،ص 241.

المعيارُ أنّ اعتبارَ الصوتين تنوُّعَين لصيتَيْنِ مُختلفتين يتوقّف على كون إبدال أحدِهما بالآخر في نفس السياق يؤدّي إلى تغيير في معنى الكلمة " [1] .

فيصبحُ المعنى الثاني غير المعنى الأوّل و اللّذَين ذُكرا وفقَ دلالةٍ مقصودة من الكاتب حتى لو تكرّرت اللفظة فإنّ دقّتَها الدلالية تتغير.

الدلالة الصوتية في نصّ البشير الإبراهيمي :

تُعدُّ خِطاباتُ الشيخ البشير الإبراهيمي من بين الخِطابات التي تتميّزُ برزانة اللفظ وجزالته وثرائه، ممّا يؤدّي إلى احتوائه على الكثير من المدلولات الصوتية باعتبار أنّ الصوتَ هو أوّلُ ما يتمُّ تحليله في الدراسات اللغوية وقد ذكر في أول الفقرة جملة " كلّفَني الأستاذ " حيثُ إنّ لفظة **كلّفني** تحتوي على مجموعةٍ من المقاطع الصوتية منها القصيرُ ومنها الطويل ، أمّا ما يلفِتُ الانتباهَ فهو المقطعُ (ل) إذ نرى بأنّه مشدّد ، أي أنّه نُطِق بالتشديد فتمّ الضغطُ على المقطع، أمّا أصلُه فهو حرفا ل في واحدة وبالتالي فإنّ فعل التكليفِ هُنا مُشدّد عليه نتيجة خروج صوت المقطع بشدّة و ضغط، بينما في سياقات أخرى ذكر أفعالا أخرى نتجت من نفس المصدر دون تشديد كقوله : عهدَ إليَّ الأستاذ " و "سامني الكتابة فيه " والدلالةُ هنا توحي بأنّ التشديدَ يكونُ في الأمورِ الواجبِ فعلُها بغضِّ النظر عن ما ينطوي في ظلّها.

لقد ذكر الكاتبُ في نصّه مقطعا صوتيا تكرّر في العديد من النقاط على شكل حرف الهاء كقوله : " خدمتها ، حقّها، أثرها، تحقيقه، محاسنه، أسراره، كلّها، فيها " فأحيانا يكونُ طويلا وأحيانا قصيرا ، ويعتبر هذا المقطعُ بلا معنى لوحدِه إلا أنّه داخلَ الكلمةِ أو الجملة قد أحدث تغييرا حيثُ أصبح ذا معنى خاص يُعلم حسب السياق فالكلمات : " حقّها ، وخدمتها ، وأثرها " كلّها كلماتٌ تعود على اللغة التي ذُكرت في سياق الجملة السابقة ، أمّا المقطع (ه) في الكلمة "تحقيقه" يعود على كلمة " المعنى" التي سبقت، وفي الكلمتان " محاسنه وأسراره" يعودان

على الدين وقد ذكره الكاتب قبلهما، ومن هنا يتّضح أنّه يمكن لمقطع صوتيٍّ واحدٍ أن يتكرّر في الكلمة فيُدلي بمعانيَ مختلفة من لفظة إلى أخرى إلا أنّه لا يعبّر عن شيء بمفرده ليبقى مجرد صوت.

[1] - محمد محمد يونس علي ، المعنى وظلال المعنى، المرجع السابق, ص 251-252.

نجد في إحدى الفقرات أنّ الكاتبَ قد ذكر جملة : " فإن بلغتُ رضاكم بما تسمعون فذلك" و فيها تكرّر مقطع صوتي قصيرٌ وهو مقطع (ف) الذي جاء في أول الحال لاحقا بأداة الشرط (إن) مما يدلّ على أنّ الجُملة التي تليه جاءت متمِّمةً لسياقٍ قبلها أي أنّه اشترط أمرا معيّنا ليكونَ نتيجةً يحدث بعده الشرط المذكور ، أمّا مقطع الفاءُ الثانية فجاءت جوابا لهذا الشرط فتغيّر المعنى لهذا المقطع الصوتي المتكرّر مع تغيّر المعنى المراد .

واعتمد الكاتبُ في خطابه على تكرار أحد المقاطع الصوتية والذي كان ذا أهميّةٍ بالغة في جلب انتباه المستمعين والقارئين وهو المقطعُ القصير (و) وقد ذكره بقوله : " صحو، الجو، الدو، المحبوّة، مجلوّة " بحيثُ جاءت متتالية في فكرة واحدة كلها واصفةً لحالة انشقاق اللغة العربية, وصوتُ الواو من الأصوات المهموسة الرخوَة التي تبثُّ الهدوء في نفس المتلقّي، وتكرارُها في كلماتٍ متعاقبة يحدِثُ جلَبَةً واسعة بين المستمعين، كما يجدُر الذكر أنّ كلّ هذه الألفاظ يمكن تصنيفُها في حقل الطبيعة .

إنّنا ومن خلال النص أعلاه نلاحظ أنّ الكاتبَ قد استعان بأسلوب التكرار في محاولة بلوغه عقولَ المستمعين حيث يعتبر هذا الأخير أهم جزء من علم الأصوات لأنّه يلامس أذن الطرَفِ المستمع فيجعلُه ينتبه ويركّزُ مع الأمر المتكرِّر ويتجلّى ذلك في لفظة " الأمم " التي تكرّرت أكثر من خمس مرّات في النص وقد تكونُ دلالةٌ ذلك بأنّ الكاتب يحثُّ ويؤكّد بأنّ العربية قد رفعت من شأن أمّتها بين الأمم الأخرى وجعلتها ذات قيمة ومكانة مرموقة لما تتميّزُ به من مواصفات لا تمتلكها الكثيرُ من نظيراتها الأخريات ولبقائها شامخةً رافعة رأس كلّ ناطق بها ، كما تكرّرت لفظة "الحضارة" أيضا تارة بصفة المفرد وتارة بصفة الجمع وهذا مؤيّدٌ للفكرة السابقة ذلك أنّ الحضارةَ العربية أسمى وأرقى حضارة بين الحضارات الأخرى, وبالتالي معلوم أنّ صوت التكرار يؤثّر في المتلقّي بهدف إحالته للهدف المنشود .

- **الدلالة الصرفية :**

يُعرّفُ الصرفُ بأنّه العلمُ الذي يدرس بِنيَة الكلمة وقد ذكر فاضل صالح السامرائي :

" هو التغيير الذي يتناولُ صيغة الكلمة وبِنيَتَها لإظهار ما في حروفها من أصالة وزيادة ، أو صحّة وإعلالٍ أو غير ذلك ويختصُّ بالأسماء المتمكّنة (أي المُعربة) والأفعال المتصرّفة وأمّا الحروف وشبهها من الأسماء المبنية والأفعال الجامدة والأسماء الأعجمية فلا تعلُّقَ لعلم التصريف بها. " [1] .

يُعلَم من ذلك أنّ الصرفَ يوزّع كلّ أبحاثه على الأسماء المُعربة والأفعال المتصرّفة وحسب فيدرُسُ الكلمة على مستوى بِنيتها المورفولوجية ويرصُد تغيّراتِها داخلَ الجملة.

الدلالة الصرفية لنصّ الإبراهيمي :

1) الصحيح والمعتل :

الفعل الصحيح	نوعه	الفعل المعتل	نوعه
كلّف	سالم	وهن	مثال
قصّر	سالم	قام	أجوف
ترجم	سالم	سام	أجوف
عمّ	مضعف	قوي	لفيف مقرون
عهد	سالم	رمى	ناقص
كتب	سالم	جرى	ناقص
علّق	سالم	زاد	أجوف
سمع	سالم	سعى	ناقص
تخلّل	سالم	ورث	مثال
سلك	سالم	توقّف	مثال
استمدّ	مضعف	بقي	ناقص

[1] - فاضل صالح السامرائي،الصرف العربي أحكام ومعان، دار ابن كثير، ط1، 2013 ، بيروت, ص9.

الفعل الصحيح	نوعه	الفعل المعتل	نوعه
اعتمد	سالم	توغّل	مثال
قرّر	سالم	شاء	أجوف
بلغ	سالم	شاد	أجوف
انشقّ	مضعف	ورث	مثال
اتفق	سالم		
عزّ	مضعف		
ردّد	مضعف		
ميّز	سالم		
أنقص	سالم		
أثر	مهموز		

يلاحظُ من خلال الجدول أعلاه أن الكاتبَ اعتمد على الأفعال الصحيحة أكثر من الأفعال المعتلّة إذ لم نستطِع حصرها كلّها في الجدول لغزارة تدفقّها في النصّ بينما تمّ رصدُ كلّ الأفعال المعتلّة فيه كونَه استعمل عددا قليلا منها وبالرجوع إلى دلالة هذه الأنواع من الأفعال فإنّ الحروفَ الصحيحة تعبّرُ عن القوة والصلابة والخلوِّ من أي علّة أمّا المُعتلّة فإنّها حروفٌ تعبّرُ عن اللّين والضعفِ نوعا ما ولا تخدُم الموقفَ الذي يُريد الخطيبُ التعبيرُ عنه ، إذ يريد الإثباتَ والدمغَ والبُرهان والإقناع، فيُلقي على مسامع المتلقّي أنّ اللغة العربية صلبَةٌ لا تقبَلُ الزوال والاندثار.

2) التجريد والزيادة :

الفعل المجرد	الفعل المزيد	نوع الزيادة	دلالة الزيادة
وهن	كلّف	التضعيف	التشديد على الأمر
ترجم	حاضر	بحرف	المشاركة في الأمر
عهد	قصّر	التضعيف	التشديد والتكثير في الأمر
كتب	اضطلع	حرفان	طلب الأمر
سام	تخلّل	حرف وتضعيف	التكلّف في الفعل
سمع	استمدّ	ثلاثة أحرف	طلب الأمر مع التشديد
سلك	ألهب	حرف	التعدية
رمى	قرّر	التضعيف	
بلغ	انشقّ	حرفان	

الفعل المجرد	الفعل المزيد	نوع الزيادة	دلالة الزيادة
عزّ	توغّل	حرف وتضعيف	التكثير والتشديد
أخذ	ردّد	التضعيف	مطاوعة الأمر
سعى	اصطلح	حرفين	التكلّف في الفعل
قام	ميّز	التضعيف	التدريج على الأمر
بقي	أنقص	حرف	طلب الأمر أو
	سهّل	التضعيف	مطاوعته
	استطاع	ثلاثة أحرف	التكثير في الأمر
	استعار	ثلاثة أحرف	تعدية الأمر
	ازدهر	حرفان	التكثير في أمر
	توقّف	حرف وتضعيف	التسهيل
	اندثر	حرفان	طلب أمر الطاعة
			طلب الإعارة
			طلب الأمر
			التكلّف في الوقوف
			المطاوعة في الفعل

يُلاحظُ في الجدول أعلاه أنّ الكاتبَ اعتمد على الأفعال المجرّدة تارة، وتارة أخرى على الأفعال المزيدة بحيث ساوى بينها فلا نكادُ نجِدُ استيلاء إحداها على النصّ من الأخرى أمّا عن دلالة هذا فإنّ الكاتب قد يرمي تارة إلى توضيح تواضُع اللغة العربية وبيانِ قيمتها بين اللغات من خلال الأفعال المجرّدة الخالية من أيّ زيادة ، وتارة أخرى إلى إبلاغ المتلقّي أنّه لا يمكن استيفاءُ حقّ العربية مهما تحدّث عنها ومهما بلغ مدحها، إضافةً إلى المعاني المختلفة التي تؤدّيها هذه الزيادات فنجِد أنّه استعمل صيغة (استفعل) التي من معانيها طلبُ الشيء فقولك : استنصَحَني فلانٌ أي طلب مني النصح ، فكأنّ الكاتبَ يطلبُ من المتلقّي اهتمامَه بلغته الجليلة ، أما صيغتا (انفعل) و (افتعل) فمِن معانيهما المطاوعة ولو ربطناهما بالطلب يتبيّن أنّ الكاتب يطلبُ المطاوعة من المستمع،

دون التخلّي عن التضعيف الذي طغى نوعا ما على أفعال النصّ فيُستفادُ منه أنّ منزلة اللغة العربية أضعاف ما تناولها الكاتب به.

المشتقات في نصّ البشير الإبراهيمي :

المشتقة	نوعها	دلالتها
حاشد	اسم فاعل	حالة الحشد
زاخرة	اسم فاعل	حالة الزخر
جليلة	صفة مشبهة	ثبوت صفة الجلالة
عامر	اسم فاعل	نسبة العمر للفاعل
السّامعين	اسم فاعل	نسبة السمع للفاعل
القارين	اسم فاعل	نسبة القراءة للفاعل
الحافظة	اسم فاعل	حالة الحفظ
السامي	اسم فاعل	حالة السمو
متوغّلة	اسم فاعل	حالة التوغّل
محبوّة	اسم مفعول	وقوع الحبو عليه
مجلوّة	اسم مفعول	وقوع الجلو عليه
صادق	اسم فاعل	حالة الصدق
متعاقبة	اسم فاعل	حالة التعاقب للفاعل
متعصبون	اسم فاعل	حالة التعصب للفاع
أوفى	اسم تفضيل	الزيادة في الوفاء
صالحة	اسم فاعل	حالة الصلاح
ظاهرة	اسم فاعل	حالة الظهور
مبين	اسم فاعل	نسبة البيان للفاعل
شائع	اسم فاعل	حالة الشيوع
متعاصي	اسم فاعل	نسبة التعاصي له
شامخة البنيان	صفة مشبهة	ثبوت صفة الشموخ
مكتوب	اسم مفعول	وقوع الكتابة عليه

من الملاحظ في الجدول أنّ الكاتب اعتمد في خطابه اسم الفاعل بالدرجة الأولى كونُه يدلّ على من وقع عليه الفعل أو الحدث فكلمة "حاشد" على سبيل المثال تعبّر عن حدثِ الحشد، وكلمة "ظاهرة" تدلّ على حدث الظهور وقد ذكر فاضل

صالح السامرائي ذلك بقوله : " ويُقصَد بالحدث معنى المصدر ، وبالحدوث ما يقابل الثبوتَ فـ (قائمٌ) مثلا اسمٌ يدلّ على القيام وهو الحثّ ، وعلى الحدوث أي التغيير، فالقيامُ ليس ملازما لصاحبه ، ويدلّ على ذات الفاعل ، أي صاحب القيام. "[1] , و بالتالي فاسمُ الفاعل لا يدلّ على الثبوت وإنّما على التغيير، ولو ربطنا دلالتَه بدلالةِ النصّ لوجدنا أنّ الكاتب يريد تذكيرنا بأنّ اللغة العربية متجدّدة تتزامن مع كل عصرٍ وغيرُ قابلة للاندثار كباقي اللغات فلا يعرف قيمتها إلّا الذي توغّل في بحرها، كما اعتمد على عدد قليل من أسماء المفاعيل وقد يدلّ المفعول على التذكير أيضا ، أي تذكيرَ المستمع بأنّه هو المطلوبُ والمستهدف من الخطاب كله، فاعتمد على التفضيل والمبالغة كذلك ولعلّها كلّها صفاتٌ لا توفي العربية حقها.

أنواع الجموع في نصّ الإبراهيمي :

جمع المذكر السالم	دلالته	جمع المؤنث السالم	دلالته	جمع التكسير	دلالته
السامعين القارئين المؤرخون الغربيون المحتكرين	صفة السمع صفة القراءة صفة التأريخ صفة التغريب صفة الاحتكار	كلمات أرومات حضارات الوجدانيا ت خيرات جهات اللغات المدنيات	الجنس غيرالعاقل	الأمم أبناء علماء محاسن أسرار أسباب أطراف شواهد حقائق عصور ألسنة مناسب روائع وسائل أمم نقائص منافع	للدلالة على أسماء الذوات المادية والمعنوية

[1] - فاضل صالح السامرائي ، الصرف العربي أحكام ومعان، المرجع السابق , ص91.

تبيّن من خلال دراسة أنواع الجموع المذكورة في النصّ أعلاه أنّ الكاتبَ اعتنى بجمع التكسير أكثر من نظائره من الجموع الأخرى حيثُ طغى جمع التكسير على النص ، بينما نجد عددا قليلا من جمعي المذكّر والمؤنث السالمين، وإن دلّ هذا على شيء فإنّه يدلُّ على أنّ الكاتبَ ينوّهُ ويشيرإلى أنّ اللغة العربية مهمّشةٌ في الوقت الراهن بين الكثير من أولادها نتيجة محاولة كسرها من طرف أعدائها ، لكنّها غنيّةٌ عن كلّ هذا فهي سالمةٌ محفوظة منذ خروجها إلى النور إلى غاية زوال الكون كله.

- **الدلالة التركيبية :**

يدرسُ المستوى التركيبيُّ الجملَ بأنواعها ويُعنى باختلافها من سياق لآخر ويحلّلها انطلاقا من معناها الإسنادي، وقد ذكر فاضل صالح السامرائي : " إنّ الجملة العربية كما يرى النحاة تتألّفُ من رُكنين أساسيين، هما المُسند والمسند إليه، فالمسند إليه هو المتحدّث عنه ولا يكون إلا اسما ، والمُسند هو المتحدّث به ويكونُ فعلا أو اسما، وهذان الركنان هما عُمدة الكلام وما عداهما فضلة أو قيد "[1].

ويُفهم من خلال القول أنّ الجملة لا تكون مفيدةً إلا إذا نجَحَت العمليةُ الإسنادية فيها، فنحصل بذلك على جُمَلٍ يُمكن بعد جمعِها أن ترتقي إلى مقام الخطاب .

تحليل النص نحويا اعتمادا على دلالاته :

1) إليك الجمل الآتية :

الجمعُ العربيُّ الحاشد

في ناحية زاخرة

المجلس الإداري.

سلكتُ في الكتابة مسلكا أدبيا.

تلك الجزيرة الجامعة.

[1] - فاضل صالح السامرائي معاني النحو ج1، المرجع السابق ص14.

مخلّفات الحضارات القديمة

حضارات الأمم القديمة.

بالنظر إلى الكلمات المُسطّر تحتها في الجمل السابقة نجِدُ أنّها تحمل مجموعة من المواصفات التي تعود على ما قبلها بغضّ النظر عن تنوعها واختلافها مِن جُملة إلى أخرى فمنها ما هو معرّف ومنها ما هو نكرة ، وذلك عائد لتحكّم ما قبلها فيها ، وبصرفِ النظر عن محلّها من الإعراب فدلالتُها كلّها دون استثناءٍ تصبّ في وصف ما ذُكر قبلها ، فكلمة "العربيّ" جاءت مبيّنةً لنوع هذا الجمع وكلمة "الحاشد" كانت مكمّلةً للصفة الأولى فصارت صفةً أو نعتا ثانيا باتصافِ الجمع على أنّه حاشدٌ غير قليل ، ولو نظرنا الى كلمة "الإداري" وجدناها تنعَتُ الذي سبقها لاختلاف المجالس من دينية وأدبية وغيرها فحدّدته على أنّه إداريٌّ ،أمّا كلمة "قديمة" المتكررة في المثالين الأخيرين فهي تبيّن عراقة الحضارات أو الأمم السابقة بوصفها قديمة ولو لم تقُم بذلك لكان أشكل على القارئ عن أيّ زمَن يقصد المتحدّث وعن أيّ حضارة .

ومن هذا المُنطلق وبغضّ النظر عمّا تقوله القاعدة دون إهمالها طبعا، فإنّ هذه الكلمات السابقة تُعربُ نعوتا أو صفاتٍ باختلاف علاماتها الإعرابية وأنواعها كون أهمّ ما يميّز النعت عن غيره هو تبعيّتُه لمتبوعه ، لكن للنعت صنفان.

تابع الأمثلة الموالية أيضا :

مسلكا أدبيا يستمدّ من الخيال أكثرَ ممّا يستمد من الواقع

تراثٌ إنسانيٌّ تسلّمُه أمّة إلى أمّة.

إنّ المتمعّنَ في دلالة الجُمل المسطّر تحتها في هذه الأمثلة يجد أنّها جملٌ تحمِل توضيحا ووصفا إلا أنّه ظهر بناءً على مجموعة من الألفاظ المتماسكة فيما بينها ، والتي يمثّل اجتماعُها معنى واحدا بغضِّ النظر عن معنى كلّ واحدة منها على حِدة، فجملة " يستمد..." هي جملة فعلية متكوّنة من أفعالٍ و أسماءٍ وحروف لكلّ منها عملها لكنّنا وبالرجوع إلى ما يؤدّيه اجتماعُها نجد أنّها تدلُّ على صفة ما قد سبقها، ولو أردنا تأويلها لقلنا " مسلكا أدبيا مُستمِدا" بضمّ الميم وكسر ما قبل الآخر فتكون بذلك نعتا ، ومن هنا فالجملة قبل التأويل تُعدّ جملة فعلية في محلّ نصب نعت .

أمّا جملة " تسلّمه أُمّةٌ إلى أمّة " فهي كما ذكرنا آنفا وعلى نفس الشاكلة ، أي أنّها مجموعة ألفاظ اجتمعت لتَصِفَ لنا ما قبلها ، شريطة أن يُفهم ذلك من خلالها كلّها كما يمكن تأويلها فنقول "تراث إنساني مُسلَّمٌ" بضمّ الميم وفتح ما قبل الآخر ، وبالتالي يكون محلّ الجملة قبل التأويل والتقدير نعتا .

ولا يكاد يخلو نصُّ البشير الإبراهيمي من النعوت إذ لا يمكن حصرها لذلك ضربنا منها أمثلة وحسب ، لأنّ الصفات كثيرة ومعانيها مختلفة إلّا أنّ فهمها واحد ، وشكل استنباطها واحد كقوله : " زاخرة، الفسيحة، البرَرَة، السامي، مختلفة، الصالحة، شائعا، متعاصيا...إلخ" وبالتالي فهي قرينةٌ إسنادية أي إسناد الوصف لفاعله أو قرينة تبعية.

2) إليك الجمل الآتية :

إشادة بفضل هذه اللغة الشريفة.

ووفاء ببعض حقّها علينا.

حفزا لهممكم.

إعلانا للمعنى الذي قامت جمعية العلماء بتحقيقه.

إنّ المتأمِّلَ في الكلمات التي تحتها سطر في الأمثلة أعلاه يجد أنّها انبثقت من فكرة واحدة في الفقرة الأولى من نصّ الخُطبة وهي قوله : " كلّفني الأستاذُ الرئيس أن أحاضر هذا الجمع العربيَّ الحاشدَ بكلمات في ناحية زاخرة من نواحي لغته الجليلة " ممّا يجعلنا نُدرك أنّ هذا القولَ ذو علاقةٍ ترابطية بينه وبين الأمثلة السابقة ذكرها .

ولو تأمّلنا في هذه الرابطة بينهم لوجدنا أنّ الكاتب أو الخطيبَ يحدّد لنا أسباب تكليفه بإلقاء الخطبة ، فذكر من بينها أنّه يريدُ الإشادة بفضل اللغة ، وليفي ببعض حقّها، وليحفز الهمَمَ، وليعلن المعنى الذي قامت الجمعية بتحقيقه ، أو بالأحرى يبيّنَ لأجل ماذا كُلّفَ بخطبته تلك ومن هذا المُنطلق فإنّ هذا المعنى يظهر من خلال الكلمات المسطّر تحتها أي: "إشادة ، وفاء، حفزا، إعلانا."

انطلاقا مما سبق نجد علاقةً بين دلالة الكلمات في الجمل التي توحي بالسببية وبين مكانتها الإعرابية التي تعتبر مفعولا لأجله ، فيمكن إضافةُ كلمة " لأجل " أو " بغية " لأوّل العبارة ليتّضح الأمرُ أكثرَ كقولنا :

" لأجل الإشادة بفضل اللغة " أو " بغية الإشادة بفضل اللغة "

وقولنا :

" لأجل الوفاء ببعض حقّها علينا " أو " بُغية الوفاء ببعض حقّها علينا "

ومن خلال ما سبق يتّضح أنّ المفعولَ لأجله يأتي ليوضّحَ سبب حدوث شيئ معيّنٍ أو فعل ما ليزيل الغموض عنه وغالبا ما يكونُ في كلمة ويُطلق عليه القرينة الغائية .

3) إليك ما يلي أيضا :

كلّفني الأستاذ الرئيس .

ليعمّ نفعه السامعين والقارئين.

انشقت اللغة العربية .

لتتفتّق أذهانُ تلك القبيلة.

شاء الله أن يكون ظهورها.

ازدهرت حضارات الأمم.

شاع بين الكثير من المتعلّمين أنّ الفاعلَ وكتعريفٍ له هو من يقومُ بالفعل أو من يتّصِفُ بفعله كقولك : حضر زيد ، فزيدٌ هنا من قام بالحضور أو بفعلِ الحضور وهذا ممّا لا شكّ فيه، وبالتالي نلاحظ من خلالِ الأمثلة أعلاه أنّ الفاعلَ مذكورٌ صريحا سواءٌ تقدّمَ أو تأخّرَ يبقى معنى الجملة ومرادُها هو المحدِّدُ لرتبته كقوله : " كلّفني الأستاذ " ومع التمعّنِ في معناها تجد أنّ الأستاذَ هو من قام بفعل التكليف ، وكون الفعل (كلّفَ) فعلا متعدّيا فبطبيعة الحال سيحتاج إلى مفعول به ألا وهو ياء المتكلم المتصلة بالفعل (كلّف) أمّا عن قوله :"انشقت اللغة العربية" فالقائم بفعل الانشقاق هنا هو اللغة العربية ، لكن قد يسأل أحدهم فيقول : كيف

للغة أن تنشقَّ وهي شيءٌ محسوسٌ ملفوظ والانشقاقُ يكون للأمور المادية الملموسة ؟

إنّ القصد من وراء كلمة الانشقاق التي ذكرها الخطيبُ إنّما يريد بها التحوّل أو الانتقال أو المشاركة أو الخروج من الشيء وليس الانقسام ، لذا فالكاتبُ يريد إبلاغ السامعين بأنّ اللغة العربية كان أصلُها من اللغات السامية، وبالتالي فكلمة " اللغة " هي من قامت بالفعل واتصفت به ، أما قوله : " ازدهرت حضارات الأُمَم " فإنّنا نعتبِرُ كلمة (حضارات) هي القائم بفعل الازدهار والمتصفَ به ، ولو أنّ الحضارات لا تزدهرُ من محض إرادتها بل تأثرا بمختلف العوامل الاقتصادية منها والعلمية والدينية وغيرها إلا أنّها تطاوع هذه العوامل لتزدهر , مثل قولي : "انكسر الزجاج "، فلا يخفى عليك أنّ الزجاج هو من قام بفعل الانكسار وطبعا نتيجة عوامل محدّدة فطاوعها وانكسر ، أو كقولك كسرتُ الزجاج فانكسرَ ولو كان صلبا شديد الصلابة لما فعل وبالتالي طاوعني بفعل الانكسار ، إلا أنّ الفاعل لا يكون دائما اسما صريحا ظاهرا، لاحظ ما يلي :

سلكتَ في الكتابة مسلكا.

فإن بلغتَ رضاكم .

وإن قصُرتَ عن الغاية.

من خلال الأمثلة أعلاه وبما أنّ المتكلمَ فيها اعتمد على الزمن الماضي فإنّه من الواجب أن يكون الفاعلُ على شكل حرف "ت" بحيث يطلق عليها تاء المتكلّم المبنية على الضمّ التي تنوبُ عن الفاعل فتعبّر عن الفاعلية وتدل بأنّ المتكلم المعروفَ من خلال السياق السابق هو القائم بالفعل بحيث هنالك فرق بين تاء الفاعل وبين تاء التأنيث الساكنة التي لا محلّ لها من الإعراب ، فتأتي الأولى للفاعل والثانية معبّرة عن التأنيث ، ومن هنا قد يأتي الفاعلُ أيضا بصيغة تاء المتكلّم كما لا ننسى أنّه يأتي على عدّة حالات أخرى كأن يأتي مصدرا مؤوّلا في قولنا : "يسرّني أن تنجح".

4) إليك الأمثلة الموالية :

أنتمِ أبناءها البررة.

خيرِ الأمم وأوفاها ...هي الأمة التي .

اللغة من الحضارة جزء لا كالأجزاء.

هذه المدينة التي تردد لفظها.

إنّ الناظر إلى الكلمات المسطّر تحتها في الأمثلة السابقة يجد بأنّها كلماتٌ بدأت بها الجمل أو كلمات بدأ بها معنى مستقل لكل جملة ، بغضّ النظر عن نوع هذه الكلمات أو حركتها الأخيرة فإنّ المتأمّلَ لها يستطيع أن يكتفي بها جُملا مفيدة ذات معنى مفيد حتى ولو كانت متممة لسياق قبلها أو نص سبقها ، وبالتالي فهي كلمات حسب سياقها الدلالي تعتبر مبتدأ لإفادة معنى جديد يمكنُ السكوت قبله وبعده بالنظر إلى معناه المؤدّى من خلاله ، فالضمير "أنتم" هو عبارة عن لفظة تخاطبية وإن كانت تتمّمُ ما قبلها إلّا أنّها في المثال مع ما جاء رفقتها من خبر يجعل السامع المتلقي يسكتُ نتيجةً تمام المعنى ، وكقولي مثلا : " أنت رجل شجاع" أو" أنتم رجال شجعان" رغم أنّ هذه الجملة تعتبر جملة مفيدة تامة إلا أنّها وإن كانت داخل نصٍّ سياقٍ معيّن قد لا يحسن الاستغناء عنها جملة أي مجتمعة نحو قولي : " قال المدرب: أنت رجل شجاع " ، مع أن الضمير " أنت " هو مبتدأ الجملة " رجل شجاع " إلا أنّ جملة " أنت رجلٌ شجاعٌ " تعبّر عن جملة القول التي تعتبر نحويا مفعولا به وبالتالي لا يمكن الاستغناء عنها لكنّها في نفس الوقت تامّة المعنى لوحدها .

أمّا كلمة " خير " في المثال الثاني فهي لفظةٌ صريحة وواضحة تبدأ بالمعنى المراد إيصاله من خلال ما اجتمع بعدها معها من ألفاظٍ وكما تمّ ذكره سابقا فإنّها تامّة مستقلة المعنى يحسن السكوت عليها دون استحضار ما قبلها كقولك : " خير الكلام ما قلّ ودلّ " فهذه جملة مفيدة مقنِعة , بدايتها لفظةٌ تُعربُ مبتدأ في غالبِ الأحوال إن لم يدخل عليها تقديمٌ وتأخير, وبالتالي فإنّ المتمعِّن في الكلمات التي تحتها سطر يجد أنها كلها تُعرب مبتدأ كونها ابتدأت الجملة دون الحاجة لما سبقها ، وما بعدها يكون خبرا لها بغضّ النظر وصرفه عن نوعه فتنتج لنا قرينة إسنادية .

4) إليك ما يلي :

قامت جمعية العلماء بتحقيقه.

إحياء هذه اللغة وإحياء الدين .

لا يسعه وقت التكليف.

يرمي إلى إلهاب الحماس .

احتكار الغربيين للمدنيّة.

يرمي إلى تقرير الحقائق.

من خلال الأمثلة المذكورة أعلاه نلاحظُ أنّ الكلمات المحدّدة في الجُمل يمكن الاستغناء عنها بإضافة "ال" إلى الكلمة التي تسبِقُها كما في المثال الأوّل ويمكننا أن نقول : " قامت الجمعية بتحقيقه " وسائرُ الأمثلة على هذه الشاكلة نحو: "..والإحياء "، " لا يسعه الوقت "، " يرمي إلى الإلهاب"، " الاحتكار للمدنيّة " ،" يرمي إلى التقرير" وبالتالي فالكلمات التي استطعنا الاستغناء عنها هي كلمات مضافة إلى كلماتٍ نكراتٍ قبلها قصدَ التعريف بها فتصبح معرفةً لكن عن طريق الإضافة.

ولعلّ تلك الكلمات تؤدّي إلى توضيح نوعية الشيء الذي قبلها فتوضّحُه وتدقّقُه أكثر ليكون المعنى جليًّا بارزا للمتلقّي فقولك : " قامت الجمعية بتحقيقه " مع أنّ المعنى يحسنُ السكوت عليه إلّا أنّ تلك الإضافة قد جعلت من كلمة " الجمعية " واضحة النوع والهدَفِ والمسار بقولك : " جمعية العلماء " فالجمعياتُ كثيرةٌ ومتعدّدة ، وقد يشكِل على القارئ الآن فيقولُ إنّ هذا الأمرَ قد تمّ ذكره مع النعت آنفا لكنّ النعتَ يصفُ ما قبله بينما الكلمات التي بين أيدينا تُعرّف وتوضّحُ ولا تصِفُ كما أنّ النعت يتبع منعوته نحويا إلّا أنّ ما بين أيدينا عكس ذلك ، له حكمه الخاص وهو الجرّ ومن هنا فهو مضاف إليه .

كما أنّ ذكرَ الكاتبِ كلمة " التكليف " في المثال الثالث أوضحت للمتلقّي نوعية الوقت الذي يتحدّثُ عنه الخطيب فالوقتُ واسِعٌ ولا يكاد ينتهي إلّا أنّه حدّد ماهية هذا الوقت حيثُ من الواجب تحديدُه في هذه الحالة لإقناع المتلقّي ولتكونَ الحُجّة دامِغَةً.

ومن هنا نخلُصُ إلى أنّ المضاف إليه لفظةٌ دقيقةٌ توضّح وتحدّدُ وتضبط ما قبلها، وفي بعض الأحيان حتى تلك اللفظةُ لا تكونُ دقيقةً كفايةً فيحتاج الشخصُ لضبطها أكثر عن طريق إضافة جديدةٍ نحو قولك : " فرح شعب بلاد الشرق الأوسط " فكلمة " بلاد " مضافة لكلمة " شعب " لكن أيُّ شعبٍ يقصد ؟ فأضاف

لها أيضا كلمة "الشرق " فبيّنَ بها أيّ شعب يقصد أمّا كلمة " الأوسط " فقد وصفته فهي نعت.

ويمكن أيضا أن تكون هذه الإضافة ضميرا عائدا على لفظة سابقةٍ تجنُّبا للتكرار كقول الكاتب : من نواحي لغتِه الجليلة

فضمير الهاء في هذه الحالة يعود على كلمة " الجمع " التي جاءت في البداية لأنّ تقدير الكلام : " من نواحي لغة الجمع العربيِّ الجليلة" وتجنّبا للتكرار نابت هاءُ الضمير عنها فأصبحت ضميرا متّصلا مبنيا على الكسر في محل جرّ مضاف إليه.

وقوله أيضا :

وجانبٌ من جوانبِها الفسيحة.

فالهاء هنا تعود على اللغة وتقدير ذلك " من جوانب اللغة الفسيحة " فتكون كلمة " اللغة " مضافةً الى كلمة " جوانب " لتوضّح كلمةٌ جوانب ماذا يقصد الكاتب.

إلّا أنّ الضمير المتصل ناب عنها .

- **الدلالة الأسلوبية :**

يعتبر الأسلوب بمثابة اللمسة الشخصية التي يضَعُها الكاتبُ في نصّه أو الخطيبُ في خطابه ليضع جمالية لغويّة وبعدا آخر لما يتكلّم عنه، يذكر الدكتور محمد عبد المطلب : "فكأنّ الأسلوبَ يشمل جانبا من البناء اللغويّ يختصُّ بالتأليفات المعنوية، بينما ينصبُّ النظم على التأليفات اللفظية، ففي الأسلوب يُلاحظ حسن الإطّراد والتناسُب والتلطيف في الانتقال من جهة إلى جهة ، كما يُلاحظ في النظم حسنُ الإطّراد من بين العبارات إلى بعض (...) وجعل الأسلوب مرتبطا في الحسن القولي بوحدة الكلام"[1].

[1] - محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجان، ط1، مصر 1994 ص 28.

ومن هذا المُنطلق فإنّ الأسلوبية أو علمَ الأسلوب علمٌ يختصّ بحسن الكلام وجودة صياغتِه وما يمكن إضافتُه من جمالياتٍ بلاغيّة وما يمكن تصوّره من معانٍ تلعب أهم دور في نصّ الخطاب.

دلالة الأسلوب في النص الإبراهيمي :

لقد اعتنى الكاتب جيّدا بجمالية نصّه ورونقه بإضافته لمجموعة من اللمسات البيانية والبديعية، ومن ذلك الاستعارات وقد طغت هذه الأخيرة على نصّه فيقول على سبيل المثال: " إحياء اللغة " فبالنظر إلى ما تحمله هاتان الكلمتان فإنّ الكاتب قد شبّه اللغة بالكائن الحيّ الذي يحيا وإن كانت صفة الإحياء لله وحده لا شريك له، فحذف المشبّه به وهو الكائنُ الحيُّ وذكر المشبّه وهو اللغة وأبقى قرينة للدلالة عليه وهي كلمة "إحياء " على سبيل الاستعارة المكنية، فاستعار الكاتبُ معنى الإحياء ليوظّفهُ في خطابه لعظمته وجماله.

كما نجد صورة بيانية أخرى في قوله : " إلهاب الحماس" حيثُ شبّه الحماس بالشيء القابل للالتهاب كالحطب مثلا أو الغاز أو ما شابه ذلك فذكر المشبّه وهو الحماسُ وحذف المشبّهَ به وهو الحطبُ كما ذكرنا وأبقى على قرينة تدلُّ عليه وهي كلمة " إلهاب "على سبيل الاستعارة المكنية .

كما نلمس في النصّ الكثير من الاستعارات كقوله : " قامت وحدها ببناء حضارة " ويقصد اللغة فأسند إليها فعل البناء فشبّهها بالانسان الذي يبني أمّا القرينة فهي الفعل المذكور آنفا على سبيل الاستعارة المكنية أيضا, فنلاحظ أنّ الكاتب حاول جاهدا أن يضع القارئ المتلقّي في حلقة من الاستعارات المعنوية ليبلّغه الرسالة على أتمّ وجه ممكن ، وخدم ذلك بالشبيه في قوله : " اللغة من الحضارة جزءٌ لا كالأجزاء ، كاللسان من البدن عضو لا كالأعضاء " فشبّه اللغة باللسان من حيث استقلاليتها .

أمّا في البديع فإنّنا نجد أنّ الكاتب استعمل مجموعةً من المحسّنات التي ساندت على تجميل الأسلوب وتلوينه وعلى سبيل المثال : الطباق في قوله : " الخيال والحقيقة " و"ضيق وسعة "و"بلغت وقصرت " كما نجد الجناس في قوله : " صحو وصفو" و" الجوُّ والدوُّ" وبالتالي فقد نوّع الكاتب أساليبه البيانية والتصويرية وكلّها للمساهمة في إقناع المتلقي .

الفصل الثاني

المبحث الأول : ماهية التداولية

- مفهوم التداولية ونشأتها
- أهمية التداولية
- مباحث التداولية

تُعدّ التداولية من بين العلوم التي لازالت محلّ البحث إلى يومنا هذا، كونها عبارةٌ عن نظرة جديدةٍ لدراسة اللغة البشرية وقد تعدّدت مفاهيمها من باحث لآخر إلّا أنّها قد تصبُّ في محور واحد لا اختلاف عليه وفي ما يلي نسرد ماهيتها :

- **مفهوم التداولية :**

أ) لغة :

ورد في القاموس المحيط : " وتداولوه : أخذوه بالدول, ودواليك، أي م : مداولة على الأمر ، أو تداولٌ بعد تداولٍ، وقد تدخله أل فيُجعل اسما مع الكاف، يقال : الدواليك."[1]

كما يذكر ابن منظور: " وتداولنا الأمرَ : أي أخذناه بالدول , وقالوا : دواليك أي مداولةً على الأمر ، قال سيبويه : وإن شئتَ حملته على أنّه وقع في هذه الحال ، ودالت الأيامُ أي دارت ، والله يداولُها بين الناس , وتداولته الأيدي : أخذته هذه مرّة وهذه مرّة . [2]

وعليه فإنّ معنى التداوُل يختلِفُ من سياق لآخر .

ب) اصطلاحا :

اتفقت مفاهيم التداولية على أنّها دراسةُ اللغة أثناء الاستعمال إلّا أنّها تجاوزت ذلك ببعض الحروف اعتمدت على أسلوب الباحث، يذكر بهاء الدين محمد مزيد : "هي دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام **language in use**، بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية ، لا في حدودِها المُعجمية ، أو تراكيبها النحوية, وهي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها، في ظروف ومواقف معيّنة ، لا كما نجدها في القواميس والمعاجم، ولا كما تقترح كتب النحو التقليدية, خذ مثلا كلمة " شكرا " في لسان العرب لابن منظور (الشكر : عرفان الإحسان ونشره، وهو الشكور أيضا , قال ثعلب : الشكر لا يكون إلّا عن يد ، والحمد يكون عن يد وعن غير يد , فهذا الفرق بينهما (...)

---

[1] - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، القاموس المحيط، ط8 مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان 2005، مادة (د،و، ل) ص 1000.

[2] - ابن منظور ، لسان العر ب، م11 ، المرجع السابق ، مادة (د،و، ل) ، ص 252.

وفي استعمالاتنا اليومية ، تتجاوز الكلمة مجرّد العرفان بالإحسان ونشره فتنشأ عنها معان جديدة ودلالاتٌ تتجاوز حدودها المعجمية..." [1] .

وبالتالي فإنّ الكلمات تشكّل فارقا معنويا في استعمالاتها من سياق الى آخر ككلمة " شكرا " التي قد نقصد بها الرفض أو التهكّم أو الضيق على حساب الشكر بمعناه المعجمي المعروف.

أورد جواد ختام في كتابه التداولية أصولها واتجاهاتها : " يمكن أن تُعرّفَ بصفة عامة على أنّها دراسة استعمال اللغة ، في مقابل دراسة النسق اللغوي الذي يدخل بصيغة صريحة في اختصاصات اللسانيات , وعندما نتحدّثُ عن استعمال اللغة ، فإنّ هذا الاستعمالَ ليس محايدا (...) والتداوليةُ تعني أيضا دراسة استعمال اللغة في الخطاب، ودراسةُ الإشارات النوعية التي تثبت وظيفتها الخطابية في اللغة "[2] .

أي أنّ التداولية تعتمدُ على العلامات التي تعبّر عن المقاصد الحقيقيّة وراء النصّ أو الخطاب وتحاولُ الوصولَ إلى ما وراء التجريد وإلى المعاني المخفيّة وراء السياق الكلامي.

جاء في اللسانيات التداولية : " تأسيسا على المفهوم العام لـ(**pragmatique**) في الدرس اللساني الغربيّ الحديث ، وهو دراسة اللغة حال الاستعمال أي حينما تكون متداولةً بين مستخدميها، فقد اختار (طه حسين) مصطلحَ (التداوليات) مقابلا لـ : (**pragmatique**) يقول : (وقد وقع اختيارنا منذ 1970على مصطلح (التداوليات) مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا) ،لأنّه يوفّي المطلوبَ حقّه ، باعتبار دلالتِه على معنيين (الاستعمال) و(التفاعل) معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدُن الدارسين الذين أخذوا يُدرجونه في أبحاثهم) ثم يحدّد المعنى الاصطلاحي (للتداول) قائلا : (هو وصف اللغة لكلّ ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث وعامّة الناس وخاصتهم) "[3] .

وبالتالي فإنّ التداولية مصطلحٌ مترجمٌ من لفظة غربية تعني الاستعمال اللغوي .

---

[1] - بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية ، دار شمس ، ط 1،القاهرة 2010 ص18.

[2] - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، دار بيت الحكمة، ط1، العلمة الجزائر ، 2009، ص 151.

كما أنّ التداولية ليست علما لغويا محضا ، بالمعنى التقليديّ، أو علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقّفُ عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنّها علمٌ جديدٌ للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ، ويدمِجُ مِن ثمّ مشاريع معرفية متعدّدة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره وبالتالي إنّ الحديثَ عن التداولية يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المُختلفة كالفلسفة التحليلية وعلم النفس المعرفيّ وعلوم التواصل واللسانيات .

وعلى الرغم من اختلاف وجهاتِ النظر بين الدارسين حول التداولية وتساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم في جدواها إلا أنّ مُعظمهم يقرّ بأنّ قضية التداولية هي إيجادُ القوانين الكليّة للاستعمال اللغوي والتعرّف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي [1] .

- **نشأة التداولية وتطورها :**

مرت التداولية في تاريخها الممتدّ من خمسينيات القرن العشرين إلى الآن بمراحلَ وأشواطٍ وتحوّلات عديدة، وبعدما كانت تُنعت قبل سنينَ بسلّة المُهملات ، أضحت حقلا معرفيا خصبا ومتجدّدا ، لا حدود له و لا حواجزَ تمنعُه من اقتحام حقولٍ أخرى وقد لخّصوا تاريخ التداولية في ثلاث محطات.

تعود بدايتها إلى 1938 حيث تحدّث شارل موريس عن السيمزويس في أبعادها الثلاثة أي التركيبي والسيميائي والبعد التداولي، لكنّ التداولية في هذه الفترة ظلّت حبيسة الإشاريات ، أي لائحةً محدودةً من المصطلحات كالضمائر وظروف الزمان والمكان ، وقد استقرّ في ذهن موريس أنّ التداولية تقتصرُ على ضمائر

التكلّم والخطاب وظرفي الزمان والمكان والتعابير التي تستقي دلالاتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة نفسها [2] .

كما أنّ تعريفَ موريس للتداولية ظلّ واسعا وفضفاضا يتعدّى حدودَ ما هو لسانيٌّ إلى ما هو سيميائي، أمّا مرحلة الخمسينات فكانت حاسمة في صياغة معالم التداولية خصوصا مع مجموعة من المحاضرات التي ألقاها أوستن سنة 1955 بجامعة هارفارد ، حيث بلوَر في هذه المرحلة مبحثا محوريا تناقلته الدراسات

[1] - ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي, دار الطليعة للطباعة والنشر, بيروت، ط 1 , 2005 , ص 25.

[2] - جواد ختام، التداولية، أصولها واتجاهاتها، المرجع السابق , 2016 ص 21 - 22.

التداولية اللاحقة ، خاصة سورل ، مداره حول أفعال الكلام ، وأبان أوستن من خلالِه أنّ عددا هائلا من الجُمل الخبرية التي تُستعمل لا تتغيا وصف العالم ، وإنّما تغييرَه أي أنّها جملٌ عمَليةٌ عِلاوةً على محاضرات أوستن كانت جهود بول غرايس هي الأخرى مؤثّرة وحاسمةً حيث بلوَر مقالُه ما يُعرف بنظرية المحادثة ، أوضح من خلالها أنّ تأويلَ ملفوظٍ ما يعتمد على عاملين : معنى الجملة المُتلفّظ بها من جهة وسياقُ التلفّظ ، وأضاف إليهما غرايس مبدأ التعاون .

وإذا كانت التداولية في البداية مجرّد مشروع ، ثم اكتسبت في مرحلة أخرى بعض الأهمية مع أبحاث أوستن وغرايس ، وغدت اتجاها قائم الذات إلّا أنّ المرحلة المهمّة في تاريخ التداولية تزامنت مع انفتاحها على العلوم المعرفية والأبحاث المتعلّقة بالذكاء الاصطناعي الأمرُ الذي غيّر الوجه العام للتداولية لينشأ ما يسمّى بالتداولية المعرفية لسبيربر وولسن أمّا ديكرو فأضفى على التداولية بعدا دلاليا ، حينما حاول التأسيس لتداولية مندمجة في الدلالة وضمّ ما يُعرف بنظرية الحِجاج في اللغة وهي نظرية تنفتح على النظرية العامة لتعدّد الأصوات، ومن هنا تخطّت التداولية مرحلة المشروع لتتحوّل إلى اتجاهٍ له انشغالاته الخاصّة ، ومع هذا بقي الاستمرارُ في تحاشي التداولية نظرا لما تطرحه من غموض والتباس وصلاتِها بحقول معرفية أخرى .

- **البعد التداولي للظاهرة في التراث العربي :**

تعد دراسة علماء النحو العرب للظاهرة الأسلوبية مقتصرةً على التراكيب الدالّة المفيدة دون غيرها ، وإيضاحا لهذا الأصل ، بيّن السكّاكي أنّ موضوعَ علم المعاني يُعنى بتتبّع خواصّ تراكيب الكلام في الإفادة وما يتّصلُ بها من الاستحسان وغيره ، ثم أوضح مفهومه لخواصّ تراكيب الكلام وذلك أنّ خاصيّة التركيب ما يسبقُ منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب ، جاريا مجرى اللازم له، وبهذا يقصدُ أنّ دراسة العلماء العرب خصوصا علماءُ المعاني والمناطِقة والأصوليين، مقتصرةٌ على التراكيب الدالّة المفيدة التي لها دلالات مباشرةٌ وواضحة حرفيا أو غير مباشرةٍ أي ضمنية تُفهم منها أو ملازمةٌ لها بتعبير السكاكي، كما يُلاحظ أنّ العلماء العربَ عامّة كثيرا ما كانوا يركّزون على دعامة الإفادة في دراستهم للجملة والنص [1] .

[1] - ينظر: مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، المرجع السابق ، ص. 51- 52.

وعلى هذا ينبغي أن يُحمل مقصد سيبويه في الكتاب عندما صنّف الجملة العربيّة دلاليا أصنافا منها المستقيمُ الحسَن ، ومحال، ومستقيم كذب وما هو محالٌ كذِبٌ، وكان للمتأخرين من العلماء نفسُ الفهم فمحمّد بنُ عليّ الجُرجاني مثلا يعوّل كلّ التعويل على القرينة التداوليّة الكُبرى التي سمّوها الإفادة في تحديد موضوع علمِ المعاني إذ عدّه علما يُعرف منه كيفية تطبيقِ أحوالِ الكلام العربيّ على أحوال المعنى بحسب مقتضى الوقت.

كما اهتمّ العلماء العرب اهتماما مركّزا بدراسة الإسناد ووضعوا لذلك عنوانا كبيرا يضمّ شتات هذه المباحث الإسنادية وهي ذاتُ صِلةٍ وثيقةٍ بالنحو وسمّوه بأحوال الإسناد الخبري وأحوالِ المُسندِ, وترك العلماءُ العربُ في تحليلهم في علم المعاني المركّبات غير التامّة أي غير المفيدة، وجعلوا هذا البحث لعلم الدلالة،وصنيع العلماء العرب هذا يوافق ما هو متداولٌ عند المعاصرين، فالتداوليّونَ المعاصرون لا يدرسونَ الأفعالَ الكلامية مجرّدة عن سياقها الكلامي والحالي، أي معزولةً عن غرض المتكلّم، وإنّما يدرسون إنجازية تلك الأفعال ولا يعتبرونها أفعالا كلامية إلّا إذا تحقّقت هويّتها الإنجازية عبر الاستعمال في السياق [1].

- **أهمية التداولية :**

بعدما كانت المباحثُ التداوليّةُ في سلّة المهملات، وبعد المرور بالكثير من العوائق في سياقها التاريخي المذكور آنفا أصبحت محلّ العناية المركّزة من قبل علماء النحو المعاصرين وأصبحت ذات أهمية بالغة في حقل الدراسات اللغوية،

يذكّرُ جواد ختام : "أضحت حدَثًا لسانيّا ومعرفيا خلال العقود الأخيرة ، بعدما كانت إلى عهودٍ قريبة تُنعت بسلّة مهملات اللسانيات، حيث ترمى كلّ القضايا اللسانية المُربكة , وأصلُ هذه الصفة القدحية راجعٌ إلى أنّها تثير موضوعا شائكا لا سبيل إلى ضبطه وحصره ، مدارُه حول أمزجة مُستخدمي الرموز واستعمالاتهم غير المتناهية للغة " [2] .

[1] - ينظر: مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، المرجع السابق ، 52- 53.
[2] - جواد ختام ، التداولية ، أصولها واتجاهاتها ، المرجع السابق ، ص 22.

وبالتالي فقد واجهت التداولية الكثير من الانتقادات السلبية لكنّ هذا لم ينتُج عنه توقّف الأبحاثِ فيها إذ تواصلت هذه الأخيرة إلى أن جعلت لنفسِها مكانةً مرموقة بين العلوم.

يقول جواد ختام : " غير أنّ هذا القدحَ لم يكُن عائقا لتتبوّأ التداوليةُ مكانةً متميّزة, ومن الدلائل المؤشّرة على ذلك تزايدُ عدد الدراسات والبحوث والندوات...التي اتخذت من التداولية موضوعا لها , ويمكن تفسير ذلك من زوايا مختلفة ، منها على سبيل المثال : تطوّرُ الدراسات النحوية والصياتية والمعجمية ابتداء من محاضرات دي سوسير ، وهو تطور أفضى إلى تعميق المعرفة بجملة من القضايا اللسانية التي تخصّ اللغة في مستوياتها المختلفة , غير أنّ الباحثين اللّسانيين انتبهوا إلى أنّ حلَّ بعض القضايا متوقّفٌ على دراسة اللغة باعتبارها نسَقا فقط وإنّما حاجة ماسة للاهتمام بقضايا أخرى لها صلة باستعمال النسق"[1]

ومن هُنا انبثقت جملة الأبحاث فيها وتشعّبت مباحثها وروافِدها وصارت محلّ أنظار الكثير من العلماء سواءٌ العربُ منهم أم غير العرب ولعلّ أهمّ ما تناوله العربُ في هذا العلم هو مقاصد التراكيب أو الإفادة كما ذكرنا سابقا.كما تعزّزت مكانة التداولية بعدما انتهى مسعى التوليدية إلى أفُقٌ مسدود، فالناظر في برامج النحو التوليدي المختلفة يلاحظ أنّ سقفَ التوقعات التي عُلّقت على النحو التوليدي في إيجاد آلة قادرة على توليد عدَدٍ غير متناه من الجمل اعتمادا على عدد متناه من القواعد كان عاليا ، وبالفعل أحدث تشومسكي ثورة في دراسة التراكيب ، ومارس تأثيرا ثوريا في مجالين آخرين هما الفلسفة وعلم النفس ، لكن ذلك لا يخفي المأزق الذي آل إليه النحو التوليدي ، إذ تبيّن أن المعرفة التي يمتلكها شخص ما عن معنى الجمل تستند في جزء كبير منها إلى معرفته بالطريقة التي تُستعمل بها هذه الجمل لإطلاق الأحكام وطرح الأسئلة و إلقاء الأوامر وإجراء التحقيقات ونثر الوعود إلى غير ذلك وكذلك إلى معرفة بالطريقة التي يفهَم بها هو نفسُه الآخرين حينما يستعملون الجمل لغايات مماثلة ، كما أنّ ممّا زاد التداولية أهمية وثراء انفتاحها على روافد معرفية مختلفة فلسفية ولسانية وغيرها أسهمت في إغناء هذا الحقل من المفاهيم والفرضيات فصارت التداولية ملتقى العلوم والاختصاصات .

[1] - جواد ختام ، التداولية ، أصولها واتجاهاتها ، المرجع السابق, ص 23- 24.

- **مباحث التداولية :**

أ- الإشاريات :

تطوّرت الدراساتُ اللسانية خلال القرن العشرين بشكل ملحوظ وقدّمت أبحاثا رائدة للغة في جميع مستوياتها ويلاحظ أن هذا التطور لم يواكبه انشغال متعمق ببعض إشكالات الاستعمال اللغوي من قبيل أفعال الكلام والإحالة والافتراض المُسبق والأقوال المضمرة ، وبالتبعية ظلّت النماذج والنظريات اللسانية المختلفة تتحاشى هذه الإشكالات بذريعة أنها عصيّة عن البحث، وتفجّر بعدها أبحاثُ ومحاضرات أوستن وتلميذه سورل و من مباحثهما ما أطلقا عليه الإشاريات التي قسّمها الباحثون إلى ثلاث طبقاتٍ هي الإشاريات الشخصية والإشاريات الزمانية والإشاريات المكانية [1] .

ولعلّ أول الإشاريات هي الإشاريات الشخصية ويدخل ضمنها الضمائر بمختلف أنواعها، يذكر محمود أحمد نحلة : " أوضح العناصر الإشارية الدالّة على الشخص person هي ضمائر الحاضر والمقصود بها الضمائر الشخصيّة الدالّة المتكلّمة على المتكلّم وحده مثل أنا أو المتكلّم مع غيره مثل نحن والضمائر الدالّة على المُخاطَب مفردا أو مثنى أو جمعا ،مذكرا أو مؤنثا , وضمائر الحاضر هي دائما عناصر إشارية لأنّ مرجعها يعتمد اعتمادا تامّا على السياق الذي تُستخدم فيه وليس من شكٍّ أنّ الضمير أنا وأنت ونحوهما لهما دلالة ذاتية على المتكلم أو المخاطب ، لكنّ السياق لازم لمعرفة من المتكلم أو المخاطَب الذي يحيل إليه الضمير أنا وأنت " [2] ،وهذا يعني أنّ الضمائر تُحيلنا إلى مجموعةٍ من المرجعيّات التي يُمكننا معرفتها ومعرفة القصد منها عن طريق دراسة سياقها اللغويّ .

أمّا النوعُ الآخر من الإشاريات فهو الإطارُ الزمانيّ أو 'الإشاريات الزمانية ' التي تدلّ على زمان المتكلم ، فزمان التكلّم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام بمعنى أنّ الأمر يلتبس على المتلقّي أو السامع إذا جهل زمَن التكلّم ومركز الإشارة ، وتعبّرُ عن الزمان مجموعة من الكلمات مثل : أمس ،غدا ، الأسبوع

---

[1] - جواد ختام ، التداولية ، أصولها واتجاهاتها ، المرجع السابق ، ص 75 .

[2] - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية (د.ط)،جامعة الاسكندرية، 2002، ص 1- 18.

الماضي، السنة المقبلة, فلا يتّضحُ معناها إلّا بالإشارة إلى زمانٍ يعينه بالقياس إلى زمان التكلّم أو مركز الإشارة الزمانية [1] .

ويضيف محمود أحمد نحلة نوعا آخر من الإشاريات يسمّيها بالإشاريات المكانية , فيقول: " هي عناصر إشارية إلى أماكنَ يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلّم وقت التكلم ، أو على مكان آخر معروفٍ للمخاطَب أو السامع ويكون لتحديد المكان أثرُه في اختيار العناصر التي تشير إليه قُربا أو بُعدا أو جهلا ويستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلماتٍ مثل هذا وذاك ،وهنا وهناك ونحوها إلّا إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان فهي تعتمد على السياق الماديّ المباشر الذي قيلت فيه ، ومثل هذه التعبيرات أمثلةٌ واضحة على أنّ أجزاءً من اللغة لا يمكن أن تُفهم إلّا في إطار المعنى الذي يقصِده المتكلّم فإذا قال شخص أحِبُّ أن أعمل هنا فهل هو يعني : في هذا في هذا المكتب ، أم في هذه المؤسسة ، أو في هذا المبنى ..."[2] .

وبالتالي فالكلماتُ التي تعبّر عن المكان لا يمكن معرفة مقصدها المضبوط إلا داخل السياق وتحت ضوء فهمنا المعمّق له فالمكان إشارةٌ من بين الإشاريات التي نبّه عنها أوستن في بحثه التداولي .

كما أنّ هنالك إشارياتٍ للخطاب تعدّ من خواصّه وتتجسّد في العبارات التي تُذكر في النصّ فتشيرُ إلى موقفٍ خاص بالمتكلم وتعبّر كلٌّ منها على نوع الشعور أو ردّة الفعل كأن يستدرك كلاما سابقا فيقول : لكن أو بل ، وقد يريد إضافة شيءٍ فيقول : فضلا ، إضافة إلى الإشاريات الاجتماعية التي تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلّمين والمخاطَبين من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة ألفة ومودّةٍ [3] .

ب- الأفعال الكلامية :

صار مفهوم الفعل الكلامي نواةً مركزية في الكثير من الأعمال التداوليّة ومحتواه أنّ كلّ محفوظ يرتكز على نظام شكليّ دلاليّ إنجازي وتأثيري كما يُعدّ نشاطا نحويا يتوسّل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية وغايات تأثيريّة تخصُّ

[1] - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، المرجع السابق، ص 19.
[2] - المرجع نفسه , ص 21.
[3] - نفسه ،ص 24-25.

ردود فعل المتلقي ، فهو فعلٌ يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريّا بمعنى أنّه يطمح إلى أن يكون ذا تأثيرٍ على المُخاطَب ومن ثمّ إنجاز شيء ما .[1]

وقد قسّم أوستن في مرحلة من مراحل بحثه الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أفعالٍ فرعية أوّلها فعل القول ويُراد به إطلاق الألفاظ في جُملٍ مفيدة ذات بناء نحويٍّ سليمٍ وذات دلالة ففعل القول يشتملُ بالضرورة على أفعال لغوية فرعية وهي المستويات اللسانية المعروفة بينما أوستن يسمّيها أفعالا : الفعل الصوتي ويراد به التلفّظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة ما والفعل التركيبيّ يؤلّف مفردات طبقا لقواعد لغة ما والفعل الدلالي فهو توظيف هذه الأفعال حسب معان محددة .

والفعل الثاني هو الفعل المتضمّن القول أي أنّه الفعل الإنجازي الحقيقيّ وقد اقترح أوستن تسمية الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال بالقوّة الإنجازية على سبيل المثال السؤال أو الإجابة عنه أو تحذير أو أمر أو وعد , فالفرق بين الفعل الأول والفعل الثاني هو أنّ هذا الأخيرهو قيامٌ بفعل ضمن قول شيء في مقابل الأوّل الذي يعتبر مجرد قول .

أما الفرع الثالث فهو الفعل الناتج عن القول حيث يرى أوستن أنّه مع القيام بفعل القول وما يصحبه من فعل متضمّنٍ في القول قد يكون الفاعل قائما بفعل ثالث ومن أمثلة ذلك الإقناعُ والتضليلُ والإرشاد وغيرها [2] .

الأفعال الكلامية عند العرب :

اعتنى علماءُ العرب من النحاة والأصوليين بالأفعال الكلامية من منظورٍ مغايرٍ لِما جاء به الغربيّون إذ ارتبط ذلك بأنواع الجمل العربية من حيث الخبر والإنشاء وغيرها من التقسيمات , يقول مسعود صحراوي : " ونعني به كيفيّة استثمارهم للمفاهيم والمقولات التداولية كنظرية الأفعال الكلامية التي بحثوها ضمن نظرية الخبر والإنشاء أثناء بحثهم عن الدلالات وعن الطرق التي يتّخذها النصُّ لإفادة معنى أو لصناعة أفعال دينية – فردية كانت أو اجتماعية –

[1] - ينظر: مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، المرجع السابق ، ص40 .
[2] - المرجع نفسه ، ص 42.

بالكلمات، وكيفيّة تعاطيهم بالأساليب اللغوية والأغراض الإبلاغية التواصلية المنبثِقة عنها "[1] .

ويظهر لنا أنّ الأصوليينَ درسوا الأفعال الكلاميّة في العربية من منظور تقسيمهم للجملة بلاغيا أي الخبر والإنشاء وما يندرج تحتهما من أنواع فالأساليب الإنشائية تنقسم إلى : (الاستفهام ، الأمر، النهي ،التعجّب ، المدح ،الذمّ، القسَم...الخ) كما أنّ الأساليب الخبرية لها هي الأخرى أنواعٌ خاصّة بها.

كما يذكر مسعود صحراوي : " لعلّ مِن مظاهر العبقرية عند بعضهم أنّهم لم يفهموا من اللغة أنّها منظومة من القواعد المجرّدة وحسب ، وإنّما فهموا منها أيضا أنّها لفظٌ معيّن يؤدّيه متكلّم معيّن وفي مقام مُعيّنٍ لأداء غرَضٍ تواصليٍّ إبلاغي معيّن ولذلك جعلوا من أهداف الدراسة النحوية إفادةُ المخاطَبِ معنى الخطاب وإيصال رسالة إبلاغية إليه " [2] .

وبالتالي فإنّ النحاة تناولوا مبدأ الأفعال الكلامية من منظور الإفادة وتحصيل الفهم لدى المخاطَب لنجاح العملية التواصلية .

ج- الاستلزام الحواري :

وفي هذا الصدد يقول أحمد فهد صالح شاهين : " أمّا الاستلزام الحواري ّفيختلف عن الأقوال المضمرة ، في كون الأوّل يعتمد على المعنى المُعطى، والمرتبط بدلالة سياقية خاصّة بالوضع المقامي ، فإذا كان المعنى المقصود من العبارة مبنيّا على الاستنتاج ، وإذا كان المستنتج معلوما للمتكلم ، والمُخاطَب ، فإنّ هذا الاستنتاج يدخلُ في إطار الافتراض المسبق ، أمّا إذا كان المعنى المُستنتج غيرَ معروف للمخاطب مُسبقا ، فإنّ الاستنتاج يدخل في إطار تضمين المحادثة (الاستلزام الحواري) " [3] .

وبالتالي فهذا الأخيرُ عبارةٌ عن معنى غيرِ مُضمرٍ أي يتمُّ استنتاجه انطلاقا من السياق الكلامي وذلك عكس الإضمار تماما على سبيل المثال : هل محمّد في البيت ؟ شاهدت سيارة محمّد منذ قليل عند البقال.

---

[1] - ينظر: مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، المرجع السابق ، ص 24- 25.

[2] - المرجع نفسه، ص174.

[3] - أحمد فهد صالح شاهين ، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة ، عالم الكتب الحديث ط1، إربد الأردن ،2015 ، ص 22.

فالمعنى الصريح الظاهر الذي يمكن فهمه من خلال معاني مفردات التركيب المترابطة فيما بينها بقواعدَ نحويةٍ تحافظُ على استقامة المعنى العام دالٌّ على وقوف سيارة محمّد عند البقال , أما المعنى المُستلزم الحواري فلا يُفهم من خلال ما تقدمّه الجملة من معانٍ وإنّما يعتمد على الإطار العام للحديث، فيُفهم من خلاله أنّ محمدا ليس بالبيت.

ولكي يتمكّن المؤوِّلُ من بلوغ الفهم الصحيح للجملة المستلزمة حواريا تمَّ وضعُ العبارات اللغوية في قوالبَ تسهّل على المؤوِّلِ استنباطُ المعنى حيثُ قسّمت الاحتمالاتُ الدلالية إلى قسمين :

معاني صريحة : وهي المدلولُ عليها بصيغة الجُملة ذاتِها وتشمل المحتوى القضوي, أي مجموع معاني مفردات الجملة مضموما بعضها إلى بعض ، وتشمل أيضا القوّة الإنجازية الحرفية, أي القوّة الدلالية المُؤشَّرِ لها بأدواتٍ تصبغ الجملة بصبغة أسلوبية ما .

معاني ضمنية : وهي المعاني التي تدلّ عليها صيغة الجملة بالضرورة ، ولكن للسياق دخلٌ في تحديدها وتشمل المعاني العُرفية , أي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا وتلازم الجملة في المقام, وتشمل أيضا المعاني الحوارية , أي التي تتولّد طِبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة [1] .

- **نظرية الحِجاج :**

يعتبر الحِجاجُ من بين أهمّ مباحث التداولية وقد أسهب خليفة بوجادي في التقعيد والتعريف به إذ يقول : " في تعريفه يمكن أن يُفهم بما هو مركّبٌ من (حجة/argument) ويمكن أيضا أن يُعرّفَ مُعجميا بأنّه معالجةٌ المُشكلات الكلامية ممّا يتطلب مواجهةً حِجاجيّةً، وبتعريفٍ مُختصر هو طريقة عرض الحُجج وتقديمها, أمّا الحُجّة تحديدا فقد عُرِّفت في مُعجم اللسانيات لجورج مونان بقوله: (هي العناصر غيرُ اللسانية المُشاركة في التعبير ، والتي لها علاقة مع محلّ الجملة الذي هو النواة " [2] .

---

[1] - ينظر : أحمد فهد صالح شاهين ، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة ، المرجع السابق , ص 23.24.

[2] - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ،دار بيت الحكمة ، ط1، العلمة الجزائر, 2009 , ص 106 .

وبالتالي فالحِجاجُ هو تقديم تركيبٍ جُمَليٍّ إضافة إلى تكوينه من مجموعة من الحُجج التي تدعم الرسالة التي يرتئي المرسِل إبلاغها ، ما يجعل المتلقّيَ مقتنعا يما يتلقّى.

أسهمت بحوث " بريلمان" و" تتيكا " في كشف جوانبَ عميقةٍ من البلاغة عن طريق وصفها تأمّلا في اللغة والفكر لا سيّما من خلال كتاب (شايمبريلمان) في 1958 بعنوان البلاغة الجديدة ، إضافة إلى كتابٍ مُشترك بينه وبين " تتيكا " بعنوان (دراسة الحجاج) الذي درسا فيه التقنيات التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التسليم بالموضوعات المعروضة عليها ، والحِجاجُ في نظرِهِما يتجاوز النظر فيما هو حقيقيٌّ إلى حقائق متعدّدة ومتدرّجة ، أمّا " تولمين " فقد اتضح مفهومه للحِجاج من خلال بحثه المقدّم في 1958 الذي يهدف إلى دراسة الأدوات الحجاجية في الاستخدام العادي للغة وعرض ذلك بعدّة رسومات بيانية ، فالأوّل يمثّل حِجاجا ذا ثلاثة أركان أساسية هي المعطى أو المصرّح به ، والنتيجة، والضمان ، والثاني يمثّل حِجاجا أدقّ من السابق بإضافة الموجّه والاستثناء الذي يحمل عناصر رفض القضية, أمّا الثالث فيمثّل حِجاجا أكثر دقّة ، بإضافة عنصر الأساس الذي يُبني عليه الضمان.

أمّا " ديكرو" و"أنسومير" فقد عرضا مفهوم الحِجاج وآلياته من خلال كتابهما

(l'argumentation dans la langue) في1983وهو يختلفُ عن المفهومات السابقة، حيث حصراه في اللغة ودراستِها دون الاهتمام بما هو خارجَها فيكونُ بتقديم المتكلّم قولا يُفضي إلى التسليم بقول آخر فهو إنجازٌ لعمليّتين هما عمل صريح بالحُجة من ناحيةٍ وعملٌ بالاستنتاج من ناحية أخرى[1] .

[1] - خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ،مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، المرجع السابق ، ص 106-107-108-109.

المبحث الثاني : تداولية النحو العربي

- النحو العربي بين الفكر التراثي والاستعمال اللغوي
- التقاطع النحوي التداولي
- التداولية والبلاغة
- قيمة التقريب التداولي في دراسة العربية

رغم أنّ أوّل من أسّس لمفهوم التداوليّة هم الغربيّون ، إلّا أنّ لعلماء العرب مساهمةٌ فعّالة في إدراج التداولية ضِمن ما نحَو إليه في علوم العربية ، وبالتالي لا تكاد تخلو هذه الأخيرة من الأبعاد التداوليّة من مختلف جوانبها العلمية فتنشأ انطلاقا من هذا رابطة قوية بينهما .

- **النحو العربي بين الفكر التراثي والاستعمال اللغوي :**

يذكر سليم قزعوط في إحدى مقالاته : " لا يخفى علينا أنّ النحو العربيَّ باعتباره منهجا دقيقا يشهد على براعة النحاة في استنطاق أصول العربية وكشفِ أسرارها فقد تناول خصائص التركيب اللغوي، وكان ذلك باستنباط الأحكام والقواعد من استقراء المدوّنة العربية الفصيحة، كما أنّه تناول مسائلَ ذاتِ علاقةٍ بعناصر الاتصال والتي تؤصّل لِما يُعرف في الدرس اللغوي الحديث بالتداولية ، ولعلّ هذه الإرهاصات قد سنّت عناصر الرسالة الثلاث : (المتكلّم والسامع والخطاب ذاته) (...) والمتدبّر في النحو العربيِّ القديم يلمس أنّ اهتمامه ما كان مُنصبّا على دراسة التركيب اللغوي بقدر ما يجنح الى دراسة أحوال الاستعمال اللغوي المختلفة "[1] .

وبالتالي فإنّ النحاة العربَ ركّزوا على ما يؤدّيه التركيبُ الإسناديّ من معنى دون إهمال الظاهر اللغوي ما يُحيلنا إلى العلامة التداولية.

ويذكر أيضا : " لا شكّ أنّه اهتمّ بمسائل ارتبطت بالمتكلم باعتباره منتِجا للخطاب ، ذلك أنّ اللغة موضوعُ النحو تقومُ على مفاهيم الاستعمال والتداوُل باعتبارها أداةً للتواصل والابلاغ عن المعاني (...) كما كان الكلامُ أولى الأشياء بأن يُجعل دليلا على المعاني التي احتاج الناسُ إلى فهمها بحسب احتياجهم إلى بعضهم وإزاحة المضارّ وإلى استفادتهم حقائق الأمور وإفادتها ، وجب أن المتكلم يبتغي إفادة المخاطب أو الاستفادة منه ، فالدور الأساسي الذي تقدمه اللغة أن تحمل فائدة سامع أو تستفيد منه " [2] .

---

[1] - سليم قزعوط ، الأصول التداولية في النحو العربي ،مجلة الآداب واللغات ،م 8،العدد2 ، جامعة العربي بن مهيدي أمّ البواقي 2022 ص 8 .

[2] المرجع نفسه , ص8.

فيحصل الفهمُ لدى المتلقّي وتنجحُ العملية التواصلية انطلاقا من بروز كلِّ عناصرها في الحقل الكلامي ، فالإفادةُ هي الشرط الرئيسي لتقبّل الأفكار ومناقشتها.

وقد أولى الدرسُ النحوي القديم بأصولِه ومناهجه المتكلّمَ بالغ الأهميّة حيث شكّلت نظرية العاملِ في الميدان النحويِّ صرحا كبيرا وضّحَ لنا الظواهر الإعرابية وممّا لا شكّ فيه أنّ العامل يعودُ إلى المتكلّم الذي يحدِثُ الإعراب الذي هو أثرٌ معيّن يحدثُ في الكلمة على نحو مطّرد في وجود كلمة أخرى ، حيث أنّ بعض الكلمات يرتبط بعضُها ارتباطا وثيقا إذ يستلزم بعضُها وجود الآخر ويُعلّقُ بعضها ببعض فلكلّ مبتدأ خبرٌ ولكلّ فعل فاعلٌ فيفسّر لنا هذا الاستلزامُ الضروريُّ جوانبَ من الإعراب الذي يسبّبه العامل[1] .

السمات التداولية للعلاقة الإسنادية :

إنّ من البحوث المستفيضة التي تناولت العلاقة الإسنادية ، ما ذهب إليه الباحث التونسي " خالد ميلاد " من خلال كتابه "الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية" فاستهلّ طرحه لهذه القضية ، بفكرة أنّ الإسناد مفهومٌ نحويٌّ دلاليّ مجرّدٌ يختزل الدلالة النحوية ، فيتكهّن بجميع أبنية الإنجاز المتّصلة بالنشاط اللغوي.

ولعلّ ما يهمُّنا في هذا البحث هو الأداءاتُ الفعلية لهذه البِنية ومظاهِرِها في النشاط اللغوي المستعمَل فعلا ، على سبيل المثال : الجملة الفعلية " فعل+ فاعل" فهذه البِنية تختزل أنواع الجمل الخبرية والإنشائية وقد تنبّه لهذا " ابن هشام " في " المُغنى" حيث أدرك الفرق بين نمط الجملة الفعلية " فعل + فاعل" وأداءاتها المتنوّعة أثناء الخطاب , فالبنية الأولى هي البنية العميقة أمّا البنى الأخرى المتعدّدة فهي البنية السطحية وتموضُعها في حيّزِ الانجاز هو موضوع التداولية .

كما قد نبّه " غاردنر" إلى هذا الفرق مُنطلِقا من التمييز بين اللسان والخطاب فقسّم الجملة التي ينبني عليها الخطاب في مستوى الاستعمال إلى مُسند ومسند إليه، وبالتالي فإنّ قولك : " جاء زيد" ، " فجاء " مسند و "زيد " مسند إليه ، هو

[1] - ينظر - سليم قزعوط ، الأصول التداولية في النحو العربي , المرجع السابق , ص 9.

وصفٌ لعلاقةٍ إسنادية من المنظور التداوليّ ففي نظره المسند إليه بعبارة أبسط هو الشيء الذي نتكلّم في شأنه والمسند هو الشيء الذي نقول في شأنه ، ومن المسند ما يعبّر عن قصد المتكلّم والتعبيرِ عن شعوره وهذا في صميم التداولية ، وبالإسقاط التداوليّ على العلاقة الإسنادية التي تحوي معنى الفاعلية في العربية ، نجد أنّ الجملة الفعلية تضمُّ أفعالا كلاميةً متعدّدة تخضع لقصدية المتكلّم ، فمنها الجملة الاستفهامية والأمرية والتعجّبية والخبرية ...إلخ[1]

- **التقاطع النحوي التداولي :**

لا يخفى على كثيرٍ من الدارسين أنّ النحاة العرب ما فهموا من اللغة أنّها منظومة من القواعد المجرّدة فحسب , وإنّما فهموا أيضا منها أنّها عبارةٌ عن لفظ معيّنٍ يؤدّيه متكلّمٌ معيّن في مقام معيّن وبالتالي جعلوا من أهداف الدراسة النحوية إفادةُ المُخاطَب معنى الخطاب وإيصال رسالة إبلاغية دلالية ، كما تتّضح قيمة السامع في الدرس النحويّ العربي من خلال جملة من الشواهد أهمُّها مفهومُ الكلام وأقسامُه حيث قسّم اعتمادا بالسامع ، وهنا تكمنُ القيمة التداوليّة حين يرى ابنُ فارسٍ في باب مراتب الكلام في وضوحه وإشكاله أنّ واضع الكلام الذي يفهمه كلُّ سامعٍ عرف ظاهر كلام العرب , فوضوح الكلام قائم على مدى فهم السامع له فلا فصل بين المتكلّم والسامع ، إذ المتكلّمُ ذاتُه عُدّ كذلك , لأنّه فاعل الكلام ولأنّه يتكلّمُ إلى سامع أيضا فحضوره يستدعي وجود السامع.

وإذا كان في الدرس النحوي ربطٌ بين طَرَفي الخطاب في قيام الكلام فإنّ ذلك في التداولية يُطلق عليه المعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب وتدرسها التداولية من خلال ثلاثة محاور هي الافتراض المسبق, والقول المضمر, والاستلزام الحواري، فالشركاء ينطلقون في كل تواصلٍ لسانيّ من معطيات وافتراضات مُعترَفٍ بها تشكّل الخلفية التواصلية المهمّة لنجاح العملية التواصلية وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامّة حيث ينطلق المرسِل في اختياره للعلامة اللغوية من الخلفية المعرفية للمتلقّي ليفهَم هذا الأخير الرسالة اللغوية.

[1] - ينظر، وهيبة بوشليق، الفاعل بين السمات النحوية والتداولية في اللغة العربية، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب ، ع2، جامعة محمد بوضياف الجزائر، 2022، ص164- 165- 166.

ولم يكن الهدفُ من الدرس النحوي الوحيد دراسةُ التراكيب اللغوية وفهم معانيها ، وإنّما كذلك اهتمّت بدراسة اللغة في محيطها الاجتماعي ، كون المخاطَب أهمّ أطرافِها لكونه المستقبِلَ لذلك النصّ اللغوي والمحورُ الأساسيُّ في العملية اللغوية [1].

تحدّث نواري سعودي عن الترابط بين النحو والتداولية من خلال مبدأ التأشير إذ يقول : " لا يدلّ الاسمان (عمر ، الحجّاج) من حيث الوضع الأوّل ، كما يرى النحاةُ في تعريف الاسم إلا على ذاتين يقَعَان عليهما من باب التمييز وهذه الدلالة يوفّرها افتراضٌ مُسبق مفاده أنّ كلّ اسمٍ يُستعمل في تحديد كيَانٍ مستقلٍ واحدٍ فقط على سبيل التعيين والعلَمية ، غير أنّهما يستعملان بالاعتماد على ما يتيحُهما تجمّع في مخيال الجماعة ذات المرجعية المشتركة استعمالا إشاريا يتجاوزُ حدود الدلالة الحافة الأولى ، وهو أفُقٌ يمثّله ما تراكم من لاوعي الجماعة من فضائل العدل والقوّة والشجاعة والجرأة والتحدّي فقد تجاوز الاسمان الدلالة المعجمية الأوّلية والوظيفة النحوية التي تتحدّد بناءً على الموقعية داخل التركيب." [2] إذ لاشك أنّ الاسمين المذكورين في القول لديهما سِمةٌ تداولية إذ يوحيان بعدّة معانٍ كالبطش والشدّة وهذا خاصٌّ بالحَجّاج طبعا والقوّة والجُرأة ويختصُّ بهذا اسمُ (عمر) وقد يستعملان في السياق للتعبير عن هذه الدلالات بغضّ النظر عن كونهما اسمين كعامّة الأسماء.

ويتّضح الجانبُ الإشاريُّ في مثل هذه الحالات بصورة واضحة عندما يكون القصدُ أصلا إلى الرمزية على سبيل المثال : تعرّفتُ على رفيق عُمري ، فعبارة النسبة ' عمري ' تعمل على الوصف القائم على مبدأ الاتباع بمفهومه الدلاليّ لا باصطلاحه النحوي فكلمة ' الصديق ' هو المُتحدّث عنه وإن كان هو الموضوع .

ولعلّ هذا الضربَ من التحليل النحوي لأحد مكوّنات التركيب بتتبّع الوظائف لن يقولَ في مستواه الأوّل إلا ما تعلّق بدور الكلمة في بِنية النسَق وليس هذا المراد بالضرورة ولا هو وظيفةُ ذلك الضرب من التحليل ، بل لابدّ من أن ينفتِحَ عمّا

---

[1] - عزيز كعواش ، ياسمينة شنينة، البعد التداولي للتعريف والتنكير في النحو العربي ،مقارنة في الافتراض المسبق، مجلة اللغة العربية ،م 22، العدد 3 ، (د، م)2020 ص 596-597.

[2] - نواري سعودي، منزلة التحليل النحوي من المقاربات اللسانية للخطابات: التداولية أنموذجا , ص 41.

يلعبه التأشير الثقافي والاجتماعي في إضفاء دلالاتٍ جديدة حادثة، ما كانت للكلمة في المعجم ، عبر وصفها كيانا ممكنا ووجودا مُحتملا ولا في الاستعمال الأوّل الأدنى كما تمثّلهُ الوظيفة النسَقية.

وقولك : " عرض صديقي مكتبته للبيع ، كان سيبويهِ والبخاري أنفَسَها وأقدمَها على الإطلاق ، اشتريتهما منه ، ووضعتهما في مقدّم الرفِّ العلوي لكونه أكبر الرفوف." فأنت ترى أنّ جملة الافتراضات المُسبقة تلعب عاملا هاما ودورا موجها لعمليّة التأويل ، وكيفية الاستدلال تحت وصاية منطقية في المقام الأول ، فالعبارتان : 'سيبويه' و' البخاري' اللتان تضطلعان بمهمّة التأشير الشخصي تعودان معجميا الى مبدأ التسمية القائمة على التعيين ، ونحويا إلى لعب دور المبدأ المنسوخ بكان الزمانية باعتبار حصولِ النفاسة للمؤشرين الشخصيين اللذين هما من جملة ما عرض للبيع ضمن المكتبة وبسبب من نشوء التعارض بين الدلالة المعجمية وبين خاصية القابلية التي تستوجب خواص (حي/عاقل) المنفهمة بالتحصيل ، وحفاظا على حسن سبك النص القائم في جزء منه على العائدية الضميرية القاضية بثبوت البيع ووقوعه فإنّ الدلالة التي يتعيّن إخراجُها عن أصلها والاستدلالُ بها على خلافها هي الدلالةُ الأضعف فيكون القصد إلى الكتابين من باب جواز حذف أحد المتضايفين والاكتفاء بأحدهما لقيامه مقام المحذوف لكثرة الورود ، إضافة إلى أنّ خاصية الوضع في الرفّ لا تليق إلا بالكتاب لا بالأشخاص [1] .

ظاهرة التعريف والتنكير والافتراض المسبق :

لا شكّ أنّ مِن بين نقاطِ التلاقي بين النحو والتداولية أيضا تلك العلاقةُ القائمة بين الافتراض المُسبق والتعريف والتنكير في اللغة العربية وقد ذكر هذا كلٌّ من عزيز كعواش وياسمينة شنينة في مقالهما إذ يقولان : " تبدأ الصورة بالوضوح في قضيّة تلاقي النحو والتداولية من خلال المقاربة بين زاويتي (الافتراض المُسبق) كونه من الأمور المُضمرة الموجودة في ذهن المتكلّم يبني عليها أقواله ، وبين قضيّة التنكير والتعريف في كونها عائدةً هي أيضا على ما يعرفه المتكلّم على السامع ، فلقد أدرك النحاةُ أثر العلم بحال المخاطَب في التعريف والتنكير ،

[1] - ينظر: نواري سعودي ، منزلة التحليل النحوي من المقاربات اللسانية للخطابات: التداولية أنموذجا المرجع السابق ، ص 41 -42- 43.

فلفتوا إلى أنّ على المتكلم أن يراعيَ حال المخاطَب فإذا قدّر علمه بالشيء استخدمه معرفةً وإذا قدّر جهله به استخدمه نكرة ليعلم به " [1] .

وبالتالي فإنّ الافتراضَ المسبقَ يفضي إلى علمٍ قبليٍّ يوجّه القارئَ إلى تدارك واستباق المعرفة قبل طرحها سواءٌ كانت صحيحة أم غير ذلك ما يلتقي مع التعريف و التنكير أي جهلُ المعلومة أو معرفتها.

كما ذكرا أيضا في ذات المقال : " ذلك أنّ المتكلّمَ ينظّمُ كلامه على النحو الذي يقتضيه علمُه بحال المُخاطَب أو السامع فالعلاقةُ التي تربط المتكلّم بمخاطبه في أثناء العملية اللغوية هي الفيصل المهمّ والغايةُ الأساسية التي تنظّم النصوص اللغوية فمراعاةُ المخاطَب لها أهميّة خاصّة لأنّه جزءٌ مهمٌّ وشريكٌ رئيسٌ في الرسالة الإبلاغية ، ويظهر هذا الاهتمام في علاقة المتكلّم بالسامع أثناء اختياره العبارة اللغوية القائمة على أساس افتراضٍ مُسبق في ذهن المتكلم حيث تصنّف في خانة الافتراضات كلُّ المعلومات التي وإن لم تكن مقرّرة جهرا إلّا أنّها تنتج تلقائيا من صياغة القول التي تكون مدوّنة فيه بشكل جوهري" [2] .

فالرسالة الناجحة تعتمد على كيفية إيصالها بغضّ النظر عن محتواها وإلى من هي موجهة أي أنّ المخاطِب يراعي حالة المتلقّي المستمِع أثناء توجيه كلامه .

وقد أدرك النحاةُ مدى الأهمية البالغة لتلك الاستراتيجيات في بناء النصِّ وتشكيله فسيبويه مثلا يراعي ما لدى المتلقّي من معرفةٍ يشارك فيها المرسِلَ فحثّ هذا الأخيرُ على أن يباشر كلامَه على ما هو معلومٌ عند المتلقّي أي أنّه يبدأ بالمعرفة دون النكرة لكي يهيّئَ للمتلقي استقبال المعلومة الجديدة وبالتالي فمفهومُ التعريف والتنكير لديه ارتباطٌ وثيقٌ مع مدى معرفة المرسِل والمتلقّي بموضوع الخطاب.

---

[1] - عزيز كعواش ، ياسمينة شنينة ، البعد التداولي للتعريف والتنكير في النحو العربي ،المرجع السابق , ص 606.

[2] - المرجع نفسه ، ص 606.

كما تشكّل هذه الاستراتيجيات مصدر التحكّم في بناء العبارة وتشكيلِها في التداولية فكثيرا ما نجد أنفسنا نقصدُ أكثر ممّا نقول أي أنّنا نضمِّنُ أقوالنا أمورا لا نقولها ولا نذكُرُها بصريح العبارة على سبيل المثال : يسأل محمد عمر : كم الساعة ؟ فيجيب عمر: الله أعلم ، فلو تأمّلنا في ظاهر العبارة أو الجواب لوجدنا أن عمر يخبرُ محمّدا بأنّ الله أعلم مع أنّه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور أي أنّه دائما أعلم فلماذا أخبره بهذا ؟ وهل هذا هو جواب سؤاله ؟ أكيد , عمر لا يقصد هذا كما هو ظاهرٌ بل يريد إخبار محمّد عن جهله بالوقت أو الساعة وهذا هو مبدأ القصدية في الكلام [1] .

العلامة الصوتية بين قصد المتكلّم وتفاعل المتلقي :

أولى الباحثون الصوتَ داخل الخطابِ أهميّةً بالغةً كونه يُؤثّر تأثيرا واضحا في المتلقّي تقول سهام رزاق زحاف وأخرى : " العلامات الصوتية والتي تُعنى بالمستوى المتغيّر والمستوى الثابت وكلاهما مرتبطان برغبة المتكلّم غير أنّ المستوى الأوّل يتمركز في الكلام تبعا للوظيفة المستخدمة من أجلها ، ويقوم بالتركيز على المعنى بثلاث طرق رئيسية المعنى المركزي والمعنى السياقي ونغمة الإحساس , والتي تتحكّم فيها أربعةٌ وظائفَ أساسية للخطاب الصوتي الدلاليّ وهما القصدُ والقيمة والمدلولُ عليه والعاطفة ولا تتحقّقُ هذه الوظائف ُالمستخدَمُ من أجلها الخطابُ إلّا بإجماع القواعد الأربعة التي يجب توافرها في التحليل الصوتي للخطاب وهي الكميّة والنغمة والنبرُ " [2] .

فكلُّ زيادةٍ أو نقصان في صوت مقطع معيّن من مقاطع الكلمة أو التلاعب الصوتي في جملةٍ محددة يكونُ نتاجَ قصدٍ يودُّ المتكلم الوصول إليه ، كالخطيبِ على المنبر في يوم الجمعة تجده يصرخُ أحيانا ويلينُ أحيانا فالأولى للتشديد على الأمور الخطيرة والثانية لاستمالة عواطف المستمعين .

---

[1] - ينظر: عزيز كعواش ، ياسمينة شنينة , البعد التداولي للتعريف والتنكير في النحو العربي المرجع السابق, ص 607- 608.

[2] - سهام رزاق زحاف ورشيد شهبة، تداولية النظام الصوتي في قصيدة وداع شمس الجنوب للشاعر سعد مردف ،دراسة. صوتية تحليلية ، مجلة الصوتيات،م 18، ع 2، جامعة البليدة 2، لونيسي علي، 2022، ص 146.

- **التداولية والبلاغة العربية :**

إنّ للمتكلّم دورا كبيرا في اللسانيات التداولية باعتباره منتجَ الخطاب والمتلفظَ به فهو أساسُ فهم المعنى وتحديد الدلالات ومقاصِدها ، لأنّه يرتبط بما ينويه من كلامه وما يصبو إليه، كما أنّ للمستمع أيضا أهميّةٌ بارزة في حقل التداولية كونه يتميّزُ بدور فعّالٍ في العملية التواصلية إذ أنّ الهدفَ الأساسَ من استعمال الكلام بمختلف أساليبه هو إيصال رسالة إلى شخصٍ معيّن أو إلى مجموعة من الأشخاص ، وبالتالي فاستعمالُ الكلام يحتاج وجود عنصرين هما المتكلم والمخاطب ، فلابدّ من أن تكون هناك مرسلة يبينها المتكلم ليتلقاها المستمع الذي قد يكون شخصا حقيقيّا وقد يكون وهميا متخيّلا من قبل المتكلم ، وهذا التواصل الخارجي لا يقوم إلّا بوجود طرفي الحديث أي ؛ مرسِل ومرسَل إليه بالإضافة إلى وجود مرسلة تنتمي إلى نظام مشترك بين طرفي التواصل ليتمكّن كلٌّ منهما من فهم الآخر وإفهامه ، وقد ورد هذا في البلاغة القديمة إذ أنّه على المتكلّم أن يعرفَ أقدار المعاني ويوازنَ بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات ليجعل بعدها لكلِّ طبقة كلاما ولكلِّ حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، ويقسم أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات ، ولابدّ للمتكلّم أن يبني كلامه وفق ما تفهمه عقولُ الآخرين فلكلّ مقامٍ مقالٌ فالمستمع كيفما كان حاله هو الذي يبني عليه المرسلة باللغة المتداولة التي يفهمها الطرفان ويتواصلان بها ، وبالتالي يتضح أنّه توجد علاقة تكاملية بين التداولية والبلاغة [1].

وقد كتب **"باديس لهويمل"** مقالا قال فيه : " نلاحِظُ أنّ معنى البلاغة بصفة عامّة ينهض مع مراعاة طرفين اثنين ، الأول : هو المتلفّظُ بالخطاب البليغ ويجب أن تتوفّر فيه صفاتٌ معيّنة حتى يتمكّن من التأثير في مخاطِبِه وبلوغ المبلغ الذي يريد منه ، والطرفُ الثاني هو المتلقّي للخطاب المبثوثِ من قِبَل المخاطب في شكل رسالة بليغة وسليمة حتى تحدِثَ الأثرَ المطلوبَ ممّا يعني أنّ البلاغة تقوم على مبدأ الاتصال فتبحثُ في كيفيّة استخدام اللغة بطريقة سليمة تضمَن وصول

[1] - ينظر: خويلد محمد الأمين وخويلد عبد العزيز مقارنة بين البلاغة والتداولية في الدرس اللغوي العربي، مجلة قراءات، م 15 ، العدد 1، جامعة زيان عاشور، الجلفة الجزائر، 2023 ، ص 612-613.

قصد المتكلم ومرادِه والتأثيرِ فيه من خلال توظيف ما يناسب من أدوات اللغة وتراكيبها ومراعاةِ حاله أثناء الكلام " [1].

وهذا أهمُّ ما يميّزُ اللسانيات التداولية أي الاهتمام بالسامع وتطبيق مبدأ الفهم والإفهام ، وبطبيعة الحال لا يتحقّقُ هذا المبدأ إلّا إذا جاد اللفظُ وحسُن المعنى وأفاد وأدّى وظيفته الإبلاغية على أتمِّ وجه.

- **قيمة التقريب التداولي في دراسة العربية :**

نظرا لما تحتويه اللسانيات التداولية من قواعدَ وإجراءاتٍ تحليلية متنوّعة كونها ناتجة من مجالات معرفيّة عديدة ، تقوم بوصف كلّ ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل فإنّ تطبيقها على العربية يسهمُ في وصفِها ورصدِ خصائصها وتفسير ظواهرها الخطابية التواصلية وبالتالي فإنّ التقريب التداولي لنصوص التراث يسهم في إضاءة الجوانب الحية منه وإعادة بعثها من جديد بما يتلاءم مع معطيات الدرس اللساني المعاصر فنصل إلى إيجاد مصطلحات علمية وفنية ملائمة عند ترجمة المصطلحات الغربية الى اللغة العربية ، كما نصل إلى استكشاف ما توصّل إليه علماؤنا من نتائج تعين في التأريخ لتطوّر العلوم اللسانية ولعلّ ما يُستفاد من اللسانيات التداولية هو أدواتها التي تساعد على استكشاف نصوص البلاغة العربية ، والنظر في مدى قدرتها على المثاقفة والحوار مع بعض النظريات اللسانية المعاصرة ، والتداولية بصفة عامة تُعدُّ مصدرا ثريّا يمكنه أن يشحن التراث اللغوي العربي بأبعاد لسانية ومعرفيّة مهمّة ، كما أنّ البلاغة العربية في دراستها للخطابات المتنوّعة من قرآن وحديثٍ وشعرٍ وخطابةٍ اهتمّت بتقديم توصيف لعناصر العملية التواصلية ، وفي إطار هذا التوصيف عُنيت بمقاصد الخطاب وأحوال المتلقّين له ما أكسَبَها أبعادا لسانية وتداولية واضحة تنهض وترتقي باللغة العربية[2] .

---

[1] - باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، العدد 7، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر ،2011، ص 165.

[2] - المرجع نفسه , ص 171-172.

المبحث الثالث : تداولية النص عند البشير الإبراهيمي

(الجانب التطبيقي الثاني)

- التقريبُ التداوليّ الصوتيّ في النصّ الإبراهيمي
- التحليل التداوليُّ التركيبيُّ في النصّ الإبراهيمي
- تداولية الأسلوب في النص الإبراهيمي .

" العربية : فضلها على العلوم المدنية وأثرها في الأمم العربية "

(الجزء الثاني)

ورد في الآثار : " أيّها الإخوان : كانت الحضارات القديمة تقوم على تعبّدٍ يشدُّ شعور النفس البشرية بالخضوع إلى قوّةٍ أعلى منها ، فإن لم يكن هذا التعبّدُ حقّا طغَت عليه الخُرافة وأصبحت الخُرافة جزءا من المدنيّة ، وتقوم على تشريعٍ يوزّعُ العدل بين الناس ويحفظ مصالحهم الدنيوية ، فإن لم يستنِد هذا التشريعُ على وحيٍ سماويٍّ أو نظامٍ شوري طغى عليه التحكّم والاستبدادُ وأصبح الاستبدادُ جزءا من تلك المدنيّة , وتقوم على نتاج القرائح البشرية من علوم، فإن لم تكفُل هذه القرائح حريّةً شاملة لابَسها التزويرُ والكذب وأصبح التزوير والكذبُ جزءا من تلك المدنيّة , وتقوم على لغةٍ تسع تلك المدنيّة بيانا وإفصاحا ، فإن ضاقت اللغة خسرت المدنيّة ، وإنّ حضارة اليوم لم تسلم من بعض هذه النقائص والعيوب.

كانت هذه حال الحضارات إلى أن جاء الإسلامُ بالحضارة التي لا تَبيد والمدنيّةُ المبنيّة على حكم الله وآداب النبوة، فكان التوحيدُ أساسها والفضائلُ أركانها والتشريعُ الإلهي العادل سياجها واللغةُ العربية الناصعة البيانِ الناصعة الأفق لسانها, وبذلك كلّه أصبحت مهيمنة على المدنيّات كلّها ووضع الإسلامُ هذه الحضارة الخالدة على القواعد الثابتة مما ذكرناه.

وقامت اللغة العربية ببيانها على أكمل وجه ، وكانت الأمّة المُدَّخرةُ لتشييد هذه الحضارة التي نسمّيها بحقٍّ الحضارةَ الإسلامية هي الأُمّةُ العربية .

فهمَ العربُ لأوّل عهدهم بالإسلام وبإرشاد القرآن أنّ هناك أُمَما قد خلت عمّرت الأرض ومكّن لها الله فيها ، وكانت أكثر أموالا وأعزّ نفرا وأثبتَ آثارا ، وامتثلوا أمر القرآن بالسير في الأرض والنظر في آثار تلك الأُمَم والاعتبار بمصائرها وعواقبها ، ونبّههم القرآنُ إلى أنّ مساكِنَهم لم تسكُن من بعدهم إلّا قليلا ، فكان هذا الإرشادُ القرآنيُّ المتكرّرُ حفزا إلى التنقيب في آثار المدنيّات القديمة ودراستها والاطلاع على الصالح النافع منها والأخذِ به وكان من آثار هذا التنبيه القرآنيِّ أن

تفتّحت أذهانُ المسلمين – ولا أعنيكم – إلى دراسة هذه المدنيّات واقتباس النافع منها، وكان من فضل القرآن على العالم أنّه أبقى بهذا الإرشاد على علومٍ كادت تدرُس و على آثار مدنيّاتٍ كادت تطمَس.

إنّ الفائدةَ الكبرى التي يعلّقها القرآن على السير في الأرض والوقوف على آثار الأمم البائدة هي الاعتبارُ بحال الظالمين وعُقبى الظالمين ليَعلَم المعتبِرُ أنّ الظلمَ هو سوس المدنيّات فيقيم العدل، وإذا جاء العدلُ جاء العمران ، وإذا جاء العمران قامت المدنيّة ، وكان العدلُ سِياجَها والعلمُ سِراجها ، وهذه هي مديّنُة الإسلام.

إنّ إرشاد الإسلام للمسلمين بأخذ الصالح النافع أينما وُجد هو الذي دفعهم بعد تمكّن سلطانهم وتمهّدِ مُلكهم إلى البحث عن الآثار العقلية للأمم التي سبقتهم ، فاطلعوا على ما أنتجت قرائحُ يونان وفارس والهند في العلم والآداب فنقلوها إلى لغة القرآن ووجدوا فيها خير معين على ذلك .

أيّها الإخوان : هنا الجانبُ العامر من لغتكم ، وهنا النقطة التي سُقنا هذا الحديث كلّه من أجلها، وهنا الموضوع وهو فضل اللغة العربية على العلم والمدنية .

أيّها الإخوان :

لو لم تكن اللغة العربيّة لغة مدنيّةٍ وعمران ، ولو لم تكن لغة متّسعة الآفاق غنيّة بالمفردات والتراكيب، لما استطاع أسلافُكم أن ينقلوا إليها علوم اليونان وآداب فارس والهند ، ولألزمتهم الحاجة إلى تلك العلوم تعلُّم تلك اللغات ، ولو فعلوا لأصبحوا عرَبا بعقول فارسيّةٍ وأدمغةٍ يونانيّة ، ولو وقع ذلك لتغيّر مجرى التاريخ الإسلامي برمّته.

لو لم تكن اللغة العربية لغة عالمية لما وسِعت علوم العالم، وما العالم إذ ذاك إلّا هذه الأمم التي نقل عنها المسلمون.

قامت اللغة العربية في أقلّ من نِصف قرنٍ بترجمة علوم هذه الأمم ونظُمُها الاجتماعية وآدابها فوعت الفلسفة بجميع فروعها، والرياضيات بجميع أصنافها والطبّ والهندسة والآداب والاجتماع ، وهذه هي العلوم التي تقوم عليها الحضارة العقلية في الأمم الغابرة والحاضرة ، وهذا التراث العقليّ المشاع الذي لا يزال يأخذه الأخير عن الأول ، وهذا هو الجزء الضروريُّ في الحياة التي إمّا أن تنقله

إليك فيكون قوّة فيك ، وإمّا أن تنتقل إليه في لغة غيرك فتكون قوّةً لغيرك، وقد تفطّن أسلافنا لهذه الدقيقة فنقلوا العلم ولم ينتقلوا إليه."[1]

- **التقريب التداولي الصوتي في النص الإبراهيمي :**

يحتوي نصُّ البشير الإبراهيمي على مجموعةٍ من السّمات الصوتية التي تحوي داخلها صفاتٍ تداولية بمعنى أنّ من ورائها مقاصدَ يرجو الكاتبُ بلوغَها وعليه يمكن ذكرُ بعضها بما يلي :

نلاحظ الكلمات الموالية :

الكلمة	جنسها	وزنها
شورى	اسم	فُعلى
سماوي	اسم	فعالي
ضروري	اسم	فعولي

هي كلماتٌ استخدمها الكاتبُ في الغالب للدلالة على مجموعة من الصفات تختصُّ بما قبلها عن غيرها فنجد أنّه اعتمد فيها على حروف ليّنة كالواو والياء ما قد يقصد به الرأفة واللين على اللغة العربية من طرف أهلها وذويها ، كما تعدّ من بين الحروف المهموسة الرخوة فالواو ناتجةٌ عن تدوير الشفتين أي على شكل دائرة والياء ناتجةٌ عن إطباقهما إضافة إلى الهواء المنبعث من الفم ليشكّل هذان الحرفان ، إضافة إلى الشين والسين اللذين يُعتبران من الحروف الشمسية المهموسة أيضا فالكاتب يهمس تارة ويجهر تارة أخرى ولعلّ السبب من وراء هذا هو محاولة الظفَرِ بانتباه المستمعين ، كون المتلقّي قد ييأس من تكرار نفس الفعل كما نرى بأنّ هذه الكلمات تتّحد في بعض مخارج حروفها كمخرجَي الواو والياء فيجعل هذا الاتساقُ المتلقّي في دائرة الفهم والاستيعاب بعيدا عن غياهب المتاهات.

ولعلّ حرفَي السين والشين المذكورين آنفا قد وُجِد أثرُهما في كامل النصّ إذ تكررا بشكل ملحوظ في عدد كبير من الكلمات مثل :

[1] - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي، المرجع السابق, ص 376، 375.

- شعور النفس البشرية.
- أصبح الاستبداد جزءا.
- أمرَ القرآن بالسير.
- أنّ مساكنهم لم تسكن.
- جاء الإسلام بالحضارة.

ولو ربطنا الكلمات التي ذُكر فيها حرفا السين والشين لوجدناها مترابطةً فيما بينها وعلى رأسها كلمة " الإسلام " فهو دين اليسر والرحمة والمسامحة فيأتي الهمس والرخاوة على شكل صفاتٍ يُريد بها الكاتبُ لتكون خاصة بالإسلام أي خاصّة بالسياق المذكور في النصّ والإسلام بمثابة السكن والمأوى للمسلمين يحثّ على عِصيان النفس الأمّارة بالسوء ويكره الظلم والاستبداد ، ولو بقينا على نفس الشاكلة مع كل الكلمات المتبقيّة لوجدناها مترابطة فيما بينها ، وبالتالي فالكاتب يتعمّد توظيف هذا .

ملامح التنغيم :

نلاحظ الجدول :

الجملة	نوع النغمة	التعليل
أيها الإخوان : كانت الحضارات القديمة...	نغمة متصاعدة	تصاعد النغمة في النداء للفت الانتباه
أيها الإخوان : هنا الجانب العامر...	نغمة متصاعدة	تصاعد النغمة في النداء للفت الانتباه
أيها الإخوان : لو لم تكن اللغة العربية...	نغمة متصاعدة	تصاعد النغمة في النداء للفت الانتباه
إلى أن جاء الإسلام بالحضارة...	نغمة متنازلة	تنازل النغمة مع انتهاء الفكرة
ولا أعنيكم..	نغمة متصاعدة	تصاعدت النغمة مع الجملة الاعتراضية لجعلها محل انتباه
إنّ الفائدة الكبرى التي يعلّقها القرآن...	نغمة متنازلة	تنازل النغمة مع الجملة الخبرية إلى غاية نهاية

الجملة	نوع النغمة	التعليل
فوعت الفلسفة بجميع فروعها...	نغمة متنازلة	تنازل النغمة عندما اقترنت الجملة بالفاء لتعبر عن النتيجة
وهذا هو الجزء الضروري في الحياة.	نغمة متنازلة	تنازل النغمة لاقترانها مع الفاء للتعبير عن النتيجة
إما أن تنقله إليك...	نغمة متصاعدة	تصاعد النغمة لابتداء الجملة بالأداة **إمّا** التي تعبر عن التخيير
وإمّا أن تنتقل إليه...	نغمة متصاعدة	تصاعد النغمة لابتداء الجملة بالأداة **إمّا** التي تعبّر عن التخيير.

لجأ البشير الإبراهيمي في خطابه إلى أسلوب النداء الذي يُعد من الأساليب الإنشائية غير الطلبيّة والذي يتصاعد نغمُ الصوت فيه تدريجيا من الأسفل إلى الأعلى بقصد التنبيه وإعادة بثّ روح التلقّي وتجديد الاستماع ، فمن خصائص النداء أنّه يفاجئ السامع وكأنّه ينبّهُه بقدوم خبر يهمّه إذ لا يمكن أن يفوته سماعه، فترتفع درجة الصوت فيه إلى أعلى درجة ممكنة لجلب تركيز وانتباه السامع ، إضافة إلى الجملة الخبرية التي تتنازل فيها نغمة الكلام تدريجيا مع تواصل الكلام .

كما استعان الكاتب بأسلوب الشرط في كثير من المواضع ويتجلّى ذلك من خلال قوله :

- إن ضاقت اللغة خسرت المدنيّة.
- إذا جاء العدل جاء العمران .
- إذا جاء العمران قامت المدنيّة.
- لو لم تكن اللغة العربية لغة عالمية لما وسعت علوم العالم.

يحتوي أسلوب الشرط على شطرين ، الأوّل هو جملة الشرط والشرط دائما ما تكون نغمة لفظه متصاعدةً لأنّه ينتظر الجواب فهو شبيهٌ بالاستفهام أمّا الثاني فهو جملة جواب الشرط وتنحدر فيه نغمة المتكلّم من الأعلى إلى الأسفل، من التقلّب إلى الهدوء والسكينة ولعلّ القصد من وراء هذا الأسلوب هو تنبيهُ

المستمعين على أهميّة لغتِهم الجليلة التي تكاد تهمّش مِن قِبَلِهم , وأنّهم مهما أولوا لها قيمة فلن يوفّوها حقّها لأنّ بها نزل القرآنُ وأنّها ذاتُ رِفعة على العلم والمدنية ، فينتقل الكاتب بالمستمعين بالصوت من الأسفل إلى الأعلى تارة وتارة أخرى من الأعلى إلى الأسفل .

تعدّد الأفعال الكلامية في النص الإبراهيمي :

أفعال الوصف:

ورد في الآثار.

- تقوم على تشريع.
- تقوم على نتائج.
- وعت الفلسفة.
- تفطّن أسلافنا.
- لم تسلم من بعض هذه النقائص.

من المُلاحظ أنّ الكاتب استعان في نصّه على عدد كبيرٍ من أفعال الوصف على غرار الأفعال الأخرى وهذا ما يساعده في تقرير الحقائق كما يعينُه على تبليغ الرسالة إلى المتلقّي بشكل أوضح.

أفعال الإنجاز:

- يسدّ شعور النفس.
- لم تسكن من بعدهم.
- لا أعنيكم.
- ليعلم المعتبر .

اعتمد الكاتب على بعض أفعال الإنجاز وقد تجلّى ذلك في بعض الجمل ، حيث تعبّرُ هذه الأخيرة عن رغبة الكاتب في تحريك نفسية المُخاطَب ومحاولة تقريبه من سياق النص

أفعال التأثير :

تتميز أفعال التأثير بكونها ذات معنى غير المعنى الظاهري بمعنى أنّه يُقصد منها أمر آخر ويتجلى ذلك في النص من خلال قوله :

- إمّا أن تنقله إليك .
- إمّا أن تنتقِل إليه .

من خلال العبارتين السابقتين يظهر من خلال المعنى الظاهري أنّ الكاتب يبين للمستمعين بأن نقل العلم إليه يشكّل له قوةً وأنّ انتقاله إليه بلُغة غيره هو قوة لغيره ، لكنّ الكاتب في هذين المثالين يريد التأثير في المخاطَب بحيث يحثّه ويشجّعُه على العمل بمفهوم العبارة الأولى وتجنّب الثانية قدر المستطاع فيكونُ هذا المقصود الذي يجب على المتلقّي فهمه .

الإحالات النصية في النص الإبراهيمي :

تعتبر الإحالة علاقة قائمةً بين الخطاب وما يُحيل عليه الخطابُ سواءٌ في الواقع أو المتخيّل أو في خطاب سابق وبالتالي فهي عبارة عن فعل تداولي [1] .

وقد تعدّدت مواضِعُها في النصّ الذي بين أيدينا فتحيل إلى أحد أركان الجملة التركيبية وذلك حسب السياق.

نلاحظ الجدول الموالي :

الجملة	نوع الإحالة	المحال	المحال إليه
يحفظ مصالحهم الدنيوية.	قبلية	الضمير(هم)	الناس
إن لم تكفل هذه القرائح.	بعدية	اسم الإشارة (هذه)	القرائح
فهم العرب الأوّل عهدهم.	قبلية	الضمير(هم)	العرب
النظر في آثار تلك الأمم.	بعدية	اسم الإشارة(تلك)	الأمم
هذه هي مدينة الإسلام.	بعدية	اسم الإشارة (هذه)	مدينة الإسلام

[1]- ينظر: وهيبة بوشليق، الفاعل بين السمات النحوية والتداولية في اللغة العربية، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب ، العدد 2، جامعة محمد بوضياف الجزائر، ص168.

الجملة	نوع الإحالة	المحال	المحال إليه
هو الذي دفعهم.	قبلية	الضمير(هم)	إرشاد المسلمين
إمّا أن تنقله إليك.	قبلية	ضمير الهاء	الجزءالضروري

بالنظر إلى الجملة المدرجة في الجدول، منها ما ارتبطت بضمائر ومنها ما كانت منفردة وبالتالي ففي كلمة " مصالحهم " تُعدُّ الهاء إحالة مقاليّة تعود على عنصرٍ سبقها حسب سياق المقال أو على كلمة " الناس" في النص فرغم أنّ الكاتب لم يصرّح بذلك إلا أنّ القصد واضحٌ من خلال المعنى العام ، أمّا ضمير الهاء في كلمة " عهدهم" فهو يحيل إلى أنّ العهد خاص بالعرب فجاء مضافا إليهم دون التصريح بذلك عن طريق التكرار بل بمجرّد الإحالة ، فتكون هذه الأخيرة بَعدية لأنّها جاءت بعد المحال إليه في تركيب الجملة، وعلى نفس الشاكلة ورد الضمير المتّصل في آخر مثال حيث يُعتبر إحالة قبلية إذ أحال الكاتب فيها إلى كلمة " التراث " وذلك واضحٌ من خلال مقام الكلام .

وردت في الأمثلة أيضا مجموعةٌ من الكلمات تحيل إلى ما سيأتي بعدها ويطلق عليها بالإحالة البعدية فتأتي قبل الشيء المحال إليه، كما في المثال الثاني جاء الضمير المنفصل هذه " معبّرا عن أمرٍ تجدر الإشارة إليه ويُطلق على الاسم الذي يأتي بعده بالبَدَل لأنّه يحمل نفس المفهوم ونفسَ المعنى الذي عبّرت عنه الإشارة ، و الأمرُ ينطبق أيضا على كلمة " تلك " التي تُشير إلى البعيد من الأمور فأشارت في النص إلى " الأمم" التي وردت بعدها ،كما نجد الاسمَ الموصولَ أيضا إذ يُعتبر من الإحالات البعدية التي تستخدم للتفصيل في الشيء أو وصفه ودائما ما يُعرب في النحو مبنيا في محلٍّ يؤدّي وظيفة إعرابية حسب معنى الجملة .

هذا صِنفٌ من أصناف الإحالة إذ يذكره الكاتب ليقصد به شيئا فيحيل إليه ، كما أنّه هنالك نوع آخرٌ من الإحالة وظّفها الإبراهيميُّ في خِطابه وهي الإحالة المقامية أي؛ التي تُفهم من خلال سياق المقام الخارجي للنصّ فتربط تراكيب الخطاب بموضوعه العام وأفكاره المتناولة وأهدافه المرجوة وذلك كما في الأمثلة الموالية :

الجملة	الإحالة
أيّها الإخوان	كلمة الإخوان
بالخضوع إلى قوة أعلى منها.	كلمة قوة
أصبحت الخِراف جزء من المدنيّة.	كلمة المدينة
أنّ أُمَما قد خلت في الأرض	كلمة أُمَما
الوقوف على آثار الأمم.	كلمة الأمم
إمّا أن تنقله إليك	كاف الخطاب

نلاحظ في الأمثلة أعلاه ، أنّ الكاتب يُحيلنا إلى أمورٍ لم يذكرها في نصّ خطابه بل هي معلومة خارجهُ فكلمة " الإخوان" أكيدٌ أنّه يقصد بها المتلقّي المستمعَ ليكونَ الخطاب صالحا لكل زمان ، أمّا في المثال الثاني فإنّه لم يصرِّح أيُّ قوّةٍ هي أعلى من النفس البشرية في نصّه بل أحال إليها وحسب , بقصد بلوغ مبدأ الفهم والإفهام ، فكلّ مستمعٍ ذو درجة ذكاء معيّنة ومحدّدة وبالتالي كلٌّ واحدٍ له تصوّرُه الخاص لماهية هذه القوّة وبالتالي هي معلومة خارج الخطاب في تفكير كلّ مستمع.

أحال الكاتب أيضا في المثال الثالث إلى مدنيّة معيّنةٍ معروفةٍ لدى القارئ كضرب الأمثلة ، حيثُ أنّ الكاتبَ لم يسمِّها بل عرّفها سياق المقام للمتلقّي فهي مذكورة خارجَ النصّ مُبهمةٌ داخله، لكنّ عقل المستمع قد أوجد مدنيّةً وسمّاها وجعلها محلّ الإبهام .

أمّا في كلمة " الأمم " المذكورة في كلا المثالين الرابع والخامس فنجد أنّ صاحب النص قد أحالنا إلى أحد الأُمَم التي تُعرف من خلال سياق المثال الذي ضُربت فيه فهي مذكورة في السياق محذوفةٌ في النسق ، فقوله : " أُمَما قد خلت " معروفٌ أنّ الأُمَم التي خلت هي إمّا أقوامُ الأنبياء والرسل السابقين وإمّا الأجيالُ السابقة التي جاءت قبل هذا، وبالتالي فإنّ الكاتب يحيل إليها من خلال هذه الكلمات في نصه.

أمّا في المثال الأخير فإنّه ربَط الكلمة الأخيرة بضميرٍ متصلٍ هو كافُ الخطاب، لكنّه ما ذكره من في النص إلا أنّه معروفٌ خارجه ، فصاحب النص يخاطِب كل شخص على حِدة فانتقل من الكل (أيّها الإخوان) إلى الجزء (إليك) ليلمِّحَ إلى أنّ هذه عبارة مهمّة جدا وأنّها تهمُّ كلَّ فردٍ في المجتمع لوحده وبالتالي فكلُّ مُستمعٍ يعلم بأنّه المقصود في الخطاب.

- **التحليل التداولي التركيبيُّ في النصّ الإبراهيمي :**

نلاحظ قوله أيضا :

- كانت الحضارات **القديمة** .
- يحفظ **مصالحهم** الدنيوية.
- كان هذا الإرشاد **القرآني**.
- على ما أنتجت قرائح **يونان** وفارس.

تحدثنا في الجزء النظري عن العلاقة القائمة بين النحو والتداولية من خلال التعريف والتنكير في النحو العربي والذي يرتبط مع الافتراض المُسبق في الدرس التداولي فقلنا بأنّ الافتراضَ المُسبق عبارةٌ عن معرفة مُسبقةٍ تكون في ذهن المتلقي وعلى الخطيب إذا تيقّنَ من وجود هذا الافتراض أن يُلقي جُمَلَه معرفةً لا نكرة, بهدف إفهام المستمع ، فنجد أنّ البشير الإبراهيميَّ استخدم هذا الأسلوبَ حيث أطغاه على النصّ كما هو موضّح في الأمثلة

في المثال الأول ألقى الكاتب جملته فأتبع كلمة " الحضارات " التي هي نفسها معرفة بالألف واللام بنعت زادها توضيحا وتفصيلا وممّا لاشكّ فيه أنّ هذا مِن أهمّ مميّزات النعت إذ بيّنَ صفة هذه الحضارات ، أم عن المثال الثاني فإنّه ربط كلمة " مصالح " بضمير يحيلُ إلى كلمة " العرب " التي في أول الفكرة فبيّنَ من خلال ذلك أنّه يتحدث عن مصالح العربِ لا غيرِهم من الأمم الغرب ، فجعلها معرفة ليقينه بافتراض المتلقّي المُسبق حول أصناف الأمم.

ولقد وضّح الكاتب في المثال الثالث نوع الإرشاد بوصفه قرآنيا وكان هذا بمثابة التعريف به والتفصيل فيه ، لأنّ المستمع على علمٍ بأنّ الإرشاد أنواع : ديني ، تجاري ، قانوني ...إلخ فاستنادا إلى هذا جعل من الصفة فُضلة تابعةً لما قبلها متمّمة معناها الذي تحصل بعده عملية الاستيعاب ، أمّا المثال الأخير

فالكاتب يوجّه صاحبه إلى أنّه يقصد قرائح يونان وفارس لا قرائح أخرى فعرّفها له وأوضحها استنادا لافتراضه المسبق بها .

- **تداولية الأسلوب في النص الإبراهيمي :**

لعلّ من أهمّ ما قيل في البلاغة أنّها مطابقةُ اللفظ لمقتضى الحال [1]

أي أنّ المُخاطِبَ أثناء إلقائه نصَّه عليه أن يراعيَ الظروف السياقية , إضافة إلى نسبة استيعاب المتلقّي لما يُقال فيبلّغَ فكرته بألفاظٍ واضحة ومطابقة للمعنى المراد ، إلا أنّ البلاغة تحفّ بالبيان والبديع والمعاني ، ما يجعل اللفظ المكتوب يعبّر عن شيءٍ لكنّ المرادَ منه في الحقيقة شيءٌ آخرَ , وقد وجدنا بعض اللمسات البلاغية الأسلوبية في النص الإبراهيمي إذ يقول :

- فإن ضاقت اللغة خسرت المدنيّة .

حيث إنّنا نلمس نوعا من التعبير المجازي يتجلّى في صورة بيانية فيشبّه الكاتبُ اللغة التي هي شيءٌ معنويٌّ بالأمر المادي الملموس الذي يضيق , فحذف المشبّهَ به وذكر المشبّه والقرينةُ التي هي كلمة " تضيق" على سبيل الاستعارة المكنية ، لكنّ المقصِدَ اللغوي من هذا الكلام ليس التشبيهُ وحسب , إنّما يريدُ الكاتب تنبيه المتلقّي لقيمة اللغة وأنّ إهمال المدنيّة مُرتبط بإهمال اللغة وأنّه وجَبَ الاعتزازُ بها ، ويقول أيضا :

- ليَعلم المعتبرُ أنّ الظلمَ هو سوس المدنيات.

نرى أنّ الكاتب في هذا المثال انتقل من الاستعارة في المثال الأول إلى التشبيه في هذا المثال فشبه " الظلم" بـــ " سوس المدنيات " فذكر كِلا طَرَفي التشبيه لكنّه حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، ليتّضح لنا أنّ المعنى الظاهري لهذه الجملة هو الشبَهُ القائم بين اللفظتين ، أمّا المعنى المرادُ المستهدفُ فهو التحذير ومحاولة إبادة الظلم من جذوره وتنبيه المستمعين إلى أنّ الظلم ظلماتٌ يوم القيامة وأنّ صاحبه هالكٌ لا محالة, فيحاول الإصلاح ما استطاع وطبعا دون إهمال المعنى الظاهري لكونِه يساهم في إضافة جمالية النسق النصي .

يقول البشير الإبراهيمي :

[1] - ينظر: لطفي الشيباني، مقتضى الحال عند البلاغيين ، مجلة قراءات ، المجلد 15 ، العدد1 ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية تونس ، 2023 ، ص 431.

- إذا جاء العدل جاء العمران .
- إذا جاء العمرانُ قامت المدنيّة.

إنّ المتأمّلَ في العبارات أعلاه يدركُ من أوّل وهلةٍ المعنى الظاهري لها فقولك : " إذا جاء العدلُ جاء العمران " تعني أنّ حضور العمران عبارة عن نتيجة تأتي بعد حضور العدل، فالأوّل لازمٌ للثاني لكنّ الكاتب لا يريد ذلك من هذا الإخبار ،لأنّ الناس تعلم هذا يقينا لاشك فيه، بل يريد التذكير والتنبيه فكأنّه يقولُ أقيموا العدل يا أيّها الناس، إنّ العدل يكاد يضمحلُّ يا أيها الناس ، لأنّ العدل لا يأتي من محضِ إرادته بل يأتي به بنو آدم وبالتالي من أراد العمران عليه بالعدل .

وربط في المثال الثاني قيام المدنيّة بمجيء العمران إلّا أنّ هذا الأخير لا يأتي بنفسه كما هو ملفوظٌ في ظاهر الحديث بل بالعدل يأتي ، فالكاتبُ يحثّ الناس في هذه الفكرة على العدل فيما بينهم لقيام مدينتهم والحفاظ على لغتهم .

إنّ ممّا لا شكّ فيه أنّه ما مِن جُملةٍ في نصّ البشير الإبراهيمي إلّا ولها معنى مقصود ومعنى ملفوظ فيفهمه المتلقي من خلال سياق الجملة وحسب قدرته على فهمها واستيعابها ، إلا أنّ النصَّ كوحدة متكاملة بين تراكيبه أيضا له رأيهُ الخاص، يُعرف من خلال ما يدور بالمخاطَبين من ظواهرَ وظروف ، فالشيخُ البشير الإبراهيمي من خلال خطابه هذا يعِظُ ويذكّر الأمّة الإسلامية جمعاء على وجه العموم ومن هُم تحت منبره على وجه الخصوص ، ينبّههم بضرورة الاهتمام بلغتهم والاعتزاز بها ، ويبيّن لهم مكانتها المرموقة منذ سالِف العصور وفضلها على العلم والمدنية .

الأساليب الإنشائية والخبرية : أورد البشير الإبراهيمي عددا قليلا من الأساليب الإنشائية في خطابه حيث نجد أنّه وظّف أسلوبا إنشائيا واحدا فقط وهو أسلوب النداء الطلبي وذلك من خلال تكرار قوله : يا أيّها الإخوان .

بينما وظّف في غالب نصّهِ الكثير من الأساليب الخبرية ذلك لأنّ المَقام مقامُ إخبارٍ ونُصح وإرشاد ومن أمثلة ذلك قوله : قامت اللغة العربيةُ ببيانها على أكمل وجه، فهمَ العرب لأوّلِ عهدهم بالإسلام...

خـــاتـــمة

بعد أن خُضنا في هذه الدراسة من مختلف جوانبها انتهينا إلى مجموعة من النتائج يمكن صياغتها على الشكل الآتي :

- يرتبط علمُ الدلالة بعلم النحو بشكل كبير بحيث لا يمكن لأيِّ باحثٍ كان الفصلُ بينهما ، فغياب أحدهما يساوي ضعف الآخر وتداخلهما يعني التكامل بينهما .
- لم يولِ النحاةُ القُدامى أهميّة كبيرة للعلاقة القائمة بين الدلالة والنحو كون كل واحد منهما قائم بذاته، كما أنّ اللحنَ في العصور المتقدّمة كان بشكل ضئيل الأمرُ الذي لم يستدع التوغّل في علم النحو وتيسيره بمختلف المناهج .
- رغم أنّ التداولية صارت محلّ أنظار الكثير من العلماء والباحثين في الوقت الراهن وأصبحت محطّةً يقفُ عندها كل باحثٍ لسانيٍّ إلا أنّ البحثَ لا يزالُ متواصلا في فروعها بل هناك الكثير من الأمور التي لم يُتعمّق فيها بعدُ كونها درسٌ لسانيٌ حديثُ النشأة .
- يرتبط النحو العربيُّ بالتداولية من خلال فروعٍ معيّنة فقط إذ أنّ بعض مباحثها ما هو بعيد كلَّ البعد عنه وبالتالي يشتركان في مجموعةٍ من النقاط الأساسية تسهم في خدمة النحو وتبسيطه .
- إنّ السبب الرئيسي الذي يجعلُ من النحو علما قاسيا جافّا هو تجريده من المعاني والمقاصد التي تختبئ وراء اللفظ وتركيب الجمل .
- وجب على كل متعلّمي النحو العربي أن يتفقّهوا في علمي الدلالة والمقاصد التداولية اللذين من شأنهما أن يحقّقا لهم الإتقان وللأجيال القادمة لأنّ ضُعف طلبة اليوم يساوي ضُعف طلبة الغد وبالتالي جيل يغزوه اللحن اللغوي .
- يعتبر الصوت اللغوي من أوّل المحطّات وأبيَنِها وأوضحها دلالةً ومقصدا وتأثيرا على المتلقّي ما يضيف له ميزةً خاصّة عن غيره من المستويات اللغوية .
- يعتبر النحو العربي محور تلاقي مختلف العلوم والمعارف ولعلّ من بينها الدلالة والتداولية إذ يعتمد عليهما في تجاوز الكثير من العقبات النحوية .

- لم يعتنِ النحاةُ العربُ بالدلالة والتداولية بشكلٍ مباشرٍ في أبحاثِهم ودراساتهم إلّا أنّهم وظّفوا جوانبَ منها دون الإشارة إليها أي أنّها جاءت منطقيا .
- يعتبرُ المنهج الدلاليُّ التداوليُّ أكثر المناهج تيسيرا للنحو لأنّه يقومُ على ما خفِي وراء ظاهر الكلام ويعتمد على الفهم أكثر من أي شيء .
- تحتوي اللغة العربية على مفردات عديدة ومترادفات هائلة بخلاف الكثير من اللغات ما يجعل النحوَ العربيَّ أصعبَ من نحو اللغات الأخرى وبالتالي فالدلالةُ تُخدم العربية أكثر من أي لغة أخرى .
- لا يمكن التفرقة بين علمي الدلالة والتداولية إذ أنّ هذه الأخيرة نابعةٌ من الأولى لكنّها تطورت مع مرور الزمن وأضاف إليها الباحثون مباحث جديدة تمّ التوصّلُ إليها وأصبحت علما قائما بذاته .

ملاحـــــــق

ملحق المصطلحات

المصطلح	ترجمته إلى الإنجليزية
1. الدلالة	Signification
2. الخطاب	Discourse
3. دلالة الإشارة	Reference
4. الحقول الدلالية	Semantic fields
5. دلالة الاقتضاء	Implicature
6. النظام اللساني	Linguistic system
7. علم المعاني	Semantics
8. السياق	Context
9. علم اللغة التطبيقي	Applied linguistics
10. الصورة التجريدية	Abstract image
11. علم اللغة النظري	Theoretical linguistics
12. النحو الشكلي	Syntax
13. علم النحو	Grammar
14. التركيب	Composition
15. علم الصرف	Morphology
16. القرائن النحوية	Syntactic clues
17. علم الأصوات	Phonetics
18. الإسناد	Attribution
19. الصوتيات	Phonology
20. التداولية	Pragmatics
21. الاختبارات اللغوية	Linguistic tests
22. الإشارات	Clues
23. علم المعاجم	Lexicography
24. الوظيفة الخطابية	Discursive function
25. الظواهر اللغوية	Linguistic phenomena
26. علم اللغة النفسي	Psycholinguistics
27. التواصل اللغوي	Linguistic communication
28. علم اللغة الاجتماعي	Sociolinguistics
29. الحجاج	Arguments
30. المدلول	Signified
31. الظاهرة الأسلوبية	Stylistic phenomenon

المصطلح	ترجمته إلى الإنجليزية
32. الدال	Signifier
33. الإفادة	Inference
34. السماع	Audition
35. الأفعال الكلامية	Speech acts
36. القياس	Measurement
37. النسق	Pattern
38. السيمياء	Semiotics
39. الإشاريات	Indexicals
40. اللسانيات	Linguistics
41. الاستلزام الحواري	Conversational implicature
42. المنهج التطوري	Evolutionary approach
43. العلامة التداولية	Conventional sign
44. الفلسفة	Philosophy
45. البنية السطحية	Surface structure
46. الإدراك	Perception
47. البنية العميقة	Deep structure
48. الصورة السمعية	Acoustic image
49. الافتراض المسبق	Presupposition
50. الصورة الذهنية	Mental image
51. الإحالة	Reference
52. الوظائف النحوية	Grammatical functions
53. العلامة الصوتية	Phonetic sign
54. النبر	Intonation
55. المقطع الصوتي	Utterance
56. اللسان	Linguist
57. التوليدية	Generativity
58. الرسالة	Message

نص خطبة البشير الإبراهيمي

العربية: فضلها على
لمدنية، وأثرها في الأمم غير العربية*

ذي ألقاه الأستاذ البشير الإبراهيمي، نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين
جزائريين، في أحد أيام اجتماعها العام الماضي تفضّل الأستاذ بتقديمه لهذه

ة الكرام:
ستاذ الرئيس أن أحاضر هذا الجمع العربي الحاشد بكلمات في ناحية زاخرة
الجليلة، وجانب عامر من جوانبها الفسيحة – وهو فضلها على العلم والمدنية
غير العربية – إشادة بفضل هذه اللغة الشريفة، في هذا الاحتفال العلمي،
ها علينا وحفزًا لهممكم – وأنتم أبناؤها البررة – أن تهن في خدمتها أو تقصر
ئًا للمعنى الذي قامت جمعية العلماء بتحقيقه، وهو إحياء هذه اللغة واحياء
خمت محاسنه واضطلعت بحمل أسراره.

ح الأستاذ أن أكتب ما ألقيه عليكم ليعمّ نفعه السامعين والقارئين. وإن هذا
سامني الأستاذ الكتابة فيه موضوع علمي تاريخي لا تعلق الحافظة بأسبابه كلها
جمع أطرافه، وإنما عماده البحث والتنقيب وإقامة الشواهد وحشد النصوص،
ه وقت التكليف وهو يومان تتخللهما فروض المجلس الإداري وواجبات
لذلك كله سلكت في الكتابة مسلكا أدبيًا يستمدّ من الخيال أكثر مما يستمدّ
مد على الخطابة أكثر مما يعتمد على البرهان، ويرمي إلى إلهاب الحماس في

وان:

حضارات الأمم القديمة من العرب وفارس والهند والصين ومصر واليونان
رت علومها، وكانت كلها مبنية على أصول عامة متشابهة، وكانت لكل
المعبّرة عن محاسنها والكاشفة عن حقائقها، وكان لتلك اللغات أثر بيّن في
وانتشارها، وكل من بقاء الحضارة وانتشارها يتوقف على ما في اللغة من قوة
، فاللغة من الحضارة جزء لا كالأجزاء، كاللسان من البدن عضو لا
م اندثرت تلك المدنيات والعلوم إلا ما بقي من آثار الأولى منقوشًا على
بقي من آثار الثانية مكتوبًا في الأسفار. ولولا اللغات لم نتبين من الحضارات

وان: كانت الحضارات القديمة تقوم على تعبد يسدّ شعور النفس البشرية
قوة أعلى منها، فإن لم يكن هذا التعبّد حقًا طغت عليه الخرافة وأصبحت
من المدنية. وتقوم على تشريع يوزّع العدل بين الناس ويحفظ مصالحهم
لم يستند هذا التشريع على وحي سماوي أو نظام شوري طغى عليه التحكّم
صبح الاستبداد جزءًا من تلك المدنية. وتقوم على نتاج القرائح البشرية من
م تكفل هذه القرائح حرية شاملة لابسها التزوير والكذب وأصبح التزوير
من تلك المدنية. وتقوم على لغة تسع تلك المدنية بيانًا وإفصاحًا، فإن ضاقت
المدنية، وإن حضارة اليوم لم تسلم من بعض هذه النقائص والعيوب.

ذه حال الحضارات إلى أن جاء الإسلام بالحضارة التي لا تبيد والمدنية المبنية
وآداب النبوّة، فكان التوحيد أساسها والفضائل أركانها والتشريع الإلهي العادل
العربية الناصعة البيان الواسعة الأفق لسانها. وبذلك كله أصبحت مهيمنة على
ا ووضع الإسلام هذه الحضارة الخالدة على القواعد الثابتة مما ذكرناه.

للغة العربية ببيانها على أكمل وجه، وكانت الأمة المدخرة لتشييد هذه
نسمّيها بحق الحضارة الإسلامية هي الأمة العربية.

ب لأول عهدهم بالإسلام وبإرشاد القرآن أن هناك أممًا قد خلت عمرت
لها الله فيها، وكانت أكثر أموالًا وأعزّ نفرًا وأثبت آثارًا، وامتثلوا أمر القرآن

ت واقتباس النافع منها، وكان من فضل القرآن على العالم أنه أبقى بهذا الإرشاد
كادت تندرس وعلى آثار مدنيات كادت تنطمس.

دة الكبرى التي يعلّقها القرآن على السير في الأرض والوقوف على آثار الأمم
الاعتبار بحال الظالمين وعقبى الظالمين ليعلم المعتبر أن الظلم هو سوس
يم العدل، وإذا جاء العدل جاء العمران، وإذا جاء العمران قامت المدنية،
سياجها والعلم سراجها، وهذه هي مدنية الإسلام.

اد الإسلام للمسلمين بأخذ الصالح النافع أينما وجد هو الذي دفعهم بعد تمكّن
هد ملكهم إلى البحث عن الآثار العقلية للأمم التي سبقتهم، فاطّلعوا على ما
ع يونان وفارس والهند في العلم والآداب فنقلوها إلى لغة القرآن ووجدوا فيها خير
لك.

خوان: هنا الجانب العامر من لغتكم، وهنا النقطة التي سقنا هذا الحديث كله
وهنا الموضوع وهو فضل اللغة العربية على العلم والمدنية.

خوان:
تكن اللغة العربية لغة مدنية وعمران، ولو لم تكنِ لغة متّسعة الآفاق غنية
والتراكيب، لما استطاع أسلافكم أن ينقلوا إليها علوم اليونان وآداب فارس
زَمَتْهُم الحاجة إلى تلك العلوم تعليم تلك اللغات، ولو فعلوا لأصبحوا عربًا بعقول
غة يونانية، ولو وقع ذلك لتغيّر مجرى التاريخ الإسلامي برمّته.

كن اللغة العربية لغة عالمية لما وسعت علوم العالم، وما العالم إذ ذاك إلا هذه
نقل عنها المسلمون.

للغة العربية في أقلّ من نصف قرن بترجمة علوم هذه الأمم ونُظمها الاجتماعية
ت الفلسفة بجميع فروعها، والرياضيات بجميع أصنافها، والطب والهندسة
لاجتماع، وهذه هي العلوم التي تقوم عليها الحضارة العقلية في الأمم الغابرة
وهذا هو التراث العقلي المشاع الذي لا يزال يأخذه الأخير عن الأول، وهذا
سروري في الحياة الذي إما أن تنقله إليك فيكون قوّة فيك، وإمّا أنْ تنتقل إليه في

رضاكم بما تسمعون فذلك، وإن قصرت عن الغاية كان ضيق الوقت وسعة في التقصير.

، انشقّت اللغة العربية من أصلها السامي في عصور متوغلة في القدم، هذه الأمة التي اجتمعت معها في مناسب المجد وأرومات الفخر، وشاء لهورها في تلك الجزيرة الجامعة بين صحو الجو وصفو الدو والمحبوة ومحاسن الفطرة لتتفتّق أذهان عمار تلك الجزيرة عن روائع الحكمة ن البيان بهذا اللسان، وقد كانت هذه اللغة ترجمانًا صادقًا لكثير من عاقبة التي شادها العرب بجزيرتهم. وفي أوضاع هذه اللغة إلى الآن من رات بقايا وعليها من رونقها سمات. وفي هذه اللغة من المزايا التي يعز البشر الاتّساع في التعبير عن الوجدانيات، والوجدان أساس الحضارات

ية التي تردّد لفظها الألسن ويصطلح المؤرّخون على نسبتها إلى أمم مختلفة وابع خاصة ويشتدّ المتعصّبون في احتكارها لأمة دون أمة كأنها خلقت معها ا، هي في الحقيقة تراث إنساني تسلّمه أمّة إلى أمّة وتأخذه أمّة عن أمّة فتزيد بحسب ما يتهيأ لها من وسائل وما يؤثر فيها من عوامل. وخير الأمم وأوفاها ة التي تقوي الجهات الصالحة في المدنية وتكمل النقائص الظاهرة فيها، وإشراك الناس كلهم في خيراتها ومنافعها، وخير اللغات ما كانت لسانًا مبينًا لى الناس سبيلها وتمهّد لهم مقيلها.

* * *

احتكار المدنية لأمم خاصة تقليدًا شائعًا متعاصيًا عن التمحيص والنقد، ومن ار الغربيين للمدنية القائمة اليوم، وما هي في الحقيقة إلا عصارة الحضارات لغربيون عمن تقدمهم، وقاموا عليها بالتزيين والتحسين والتلوين وطبعوها نتضاها الوقت وانتحلوها لأنفسهم أصلًا وفرعًا، ولا تزال التنقيبات عن ات القديمة تكشف كل يوم عن جديد يفضح هؤلاء المحتكرين ويقلّل من

المصادر والمراجع

أ) - قائمة الكتب :

1. إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية أسطورة وواقع , دار الفكر, الاسكندرية ط1 ، 1987.
2. ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر ، بيروت ، م 5 ط1 (د س)مادة د ل ل.
3. أبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلي، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، الفجالة القاهرة د ط، د س .
4. أحمد السيد ، اللغة العربية، د د ن، د ط، 1428ه-2008م.
5. أحمد طالب الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي، ج1، دار الغرب الإسلامي،1997 .
6. أحمد فهد صالح شاهين ، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة ، عالم الكتب الحديث ط1، إربد الأردن ،2015 .
7. أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ط1 , 1985 .
8. إدريس بن خويا ، علم الدلالة في التراث العربي والدرس اللساني الحديث ، دراسة في فكر ابن القيم الجوزية، عالم الكتب الحديث،ط1، إربد الأردن .
9. بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية ، دار شمس ، ط 1،القاهرة 2010 .
10. جنان التميمي،النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة، دار الفارابي بيروت لبنان ط1، 2013م .
11. جواد ختام ، التداولية ،أصولها واتجاهاتها ،دار كنوز المعرفة ،ط1 ، عمان 2016..
12. جورج يول ، التداولية، ترجمة قصي العتابي، دار الأمان ، الرباط، ط 1، 2010م .
13. خضر موسى محمد حمود النحو والنحاة، المدارس والخصائص،عالم الكتب بيروت لبنان ط1 2003م.
14. خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ،دار بيت الحكمة ، ط1، العلمة الجزائر 2009.
15. سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو،دار الفكر،د ط، د س .

16. السعيد شنوقة ، مدخل الى المدارس اللسانية ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ،ط 1 ، 2008 .
17. صالح عبد العظيم الشاعر ، حركة النحو والدلالة في النص الشعري ، دراسة تطبيقية ، دار الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، جمهورية مصر العربية، 2013 .
18. صلاح الدين صالح حسين ، الدلالة والنحو ، توزيع مكتبة الآداب ،ط1، د س، د م.
19. عبد الكريم محمد الأسعد، الوسيط في تاريخ النحو العربي، دار الشواق، الرياض ط 1 1992م .
20. فاضل صالح السامرائي ، الصرف العربي أحكام ومعان، دار ابن كثير ،ط1، 2013م،بيروت .
21. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي ،القاموس المحيط ، ط8 مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان 2005م ، مادة (دول).
22. مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، 1426ه،2005م .
23. محمد حماسة عبد اللطيف ، النحو والدلالة ، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، دار الشروق ، ط1، بيروت 200م .
24. محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجان، ط1، مصر 1994 .
25. محمد علي الخولي ، علم الدلالة ، دار الفلاح للنشر والتوزيع ، عمان ، 2000م .
26. محمد كريم الكواز،الفصاحة في العربية المفاهيم والأصول، دار الانتشار العربي بيروت لبنان ط 1 2006.
27. محمد محمد يونس علي ، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية ، ط2، دار الكتب الوطنية، بنغازي ، ليبيا، 2007م .
28. محمود أحمد السيد ، اللغة العربية، د د ن، د ط، 1428ه-2008م .
29. محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،دار المعرفة الجامعية (د.ط)، جامعة الاسكندرية ،2002.
30. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار،التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الرياض،ط1، 1422ه .

31. مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية .
32. مصطفى صادق الرافعي، مجاز القرآن والبلاغة النبوية،راجعه واعتنى به درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 2003م ،د ط .
33. عبد الجليل منقور ، علم الدلالة ، أصوله ومباحثه في التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب على شبكة الانترنت ، د ط، دمشق 2001 .
34. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة , محمد الطنطاوي ,دار المعارف , ط 2 .
35. هادي نهر ، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، دار الأمل للنشر والتوزيع ط1 ، الأردن ، 2007م .

ب) - قائمة المجلّات :

1. باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية ،مجلة المخبر ، العدد 7 ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر .
2. خويلد محمد الأمين وخويلد عبد العزيز مقارنة بين البلاغة والتداولية في الدرس اللغوي العربي ، مجلة قراءات ،م 15 ، العدد 1 ، جامعة زيان عاشور ، الجلفة الجزائر ، 2023 .
3. سليم قزعوط ، الأصول التداولية في النحو العربي ،مجلة الآداب واللغات ،م 8،العدد2 ، جامعة العربي بن مهيدي أن البواقي 2022.
4. سهام رزاق زحاف ورشيد شهبة ، تداولية النظام الصوتي في قصيدة وداع شمس الجنوب للشاعر سعد مردف ،دراسة. صوتية تحليلية ، مجلة الصوتيات ،م 18 ، العدد 2 جامعة البليدة 2 لونيسي علي، 2022.
5. عزيز كعواش ، ياسمينة شنينة، البعد التداولي للتعريف والتنكير في النحو العربي ،مقارنة في الافتراض المسبق، مجلة اللغة العربية ،م 22، العدد 3 ، (د، م)2020.
6. لطفي الشيباني، مقتضى الحال عند البلاغيين ، مجلة قراءات ، المجلد 15 ، العدد1 ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية تونس ، 2023 ،.
7. نواري سعودي، منزلة التحليل النحوي من المقاربات اللسانية للخطابات: التداولية أنموذجا ، مجلة اللسانيات ، م26 ، العدد 2 جامعة محمد لمين دباغين ، سطيف 2، الجزائر 2020.

8. وهيبة بوشليق ، الفاعل بين السمات النحوية والتداولية في اللغة العربية ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب ، العدد 2 ، جامعة محمد بوضياف الجزائر .

الفـــــهـــــرس

شكر وعرفان .....

مقدمة .....(أ، ب، ج)

مدخل 1

- **مكانة اللغة العربية في القرآن والسنة 1**
- **استعمال اللغة العربية بين القديم والحديث 1**
- **أهم المناهج اللسانية الحديثة 1**
- **النحو والدلالة والتداولية 1**

مكانة اللغة العربية في القرآن والسنة ----------2
استعمال اللغة العربية بين القديم والحديث ----------3
أسباب وضع النحو العربي. 6

- *المدرسة البصرية 10*
- *المدرسة الكوفية 11*

- **أهم المناهج اللسانية الحديثة : 13**

المنهج البنيوي : 13
المنهج التوزيعي : 13
المنهج التحويلي التوليدي 14
المنهج التداولي : 14

- **النحو و الدلالة والتداولية : 15**

الفصلُ الأوّل 2

المبحث الأوّل ماهية علم الدلالة 2

- **مفهوم الدلالة 2**
- **الدلالة عن العرب القدامى والمحدثين 2**
- **علم الدلالة والعلوم الأخرى 2**
- **نشأة علم الدلالة 2**
- **موضوعات علم الدلالة 2**
- **مفهوم الدلالة : ----------17**

ب – اصطلاحا 17

- **الدلالة عند العرب القدامى..... 18**

الدلالة عند المحدثين : 19

- **نشأةُ عِلم الدلالة : (المسار التطوري) : 19**

علم الدلالة وعلوم اللغة : 23

- **علم الدلالة والعلوم الأخرى : 24**
- **موضوعات علم الدلالة : 24**

أ : دلالة الكلمة : 24
ب - دلالة الجملة : 25

بين علم الدلالة وعلم اللسانيات : 26

المبحث الثاني : 29

نظرية الحقول الدلالية وعلاقتها بالنحو العربي 29

- **الحقول الدلالية 29**
- **علاقة الدلالة بالنحو العربي..... 29**
- **أهمية الدلالة في تيسير النحو 29**
- **الحقول الدلالية : 29**
- **علاقة الدلالة بالنحو العربي : 32**

النحو الشكلي : 34

حاجة النحو الشكلي إلى المعنى : 34

- بين النحو والمعنى : 36
- **أهمية الدلالة في تيسير النحو : 36**

المبحث الثالث 40

دلالاتُ النصّ عند البشير الإبراهيمي (الجانب التطبيقي) 40

الحقول الدلالية للمعجم النصّي الإبراهيمي 40

- **الدلالة الصوتية..... 40**
- **الدلالة الصرفية..... 40**
- **الدلالة التركيبية..... 40**
- **الدلالةالأسلوبية..... 40**

" العربية : فضلها على العلوم المدنية وأثرها في الأمم العربية " 41

الحقول الدلالية للمعجم النصي الإبراهيمي :.....43

- **الدلالة الصوتية : 44**

الدلالة الصوتية في نصّ البشير الإبراهيمي : 45

- **الدلالة الصرفية : 47**

المشتقات في نصّ البشير الإبراهيمي : 50

أنواع الجموع في نصّ الإبراهيمي : 51

- **الدلالة التركيبية :..... 52**
- **الدلالة الأسلوبية :..... 59**

دلالة الأسلوب في النص الإبراهيمي : 60

الفصل الثاني 41

المبحث الأول : ماهية التداولية 41

- **مفهوم التداولية ونشأتها 41**
- **أهمية التداولية 41**
- **مباحث التداولية 41**

- مفهوم التداولية :..... 62
- نشأة التداولية وتطورها :..... 64
- البعد التداولي للظاهرة في التراث العربي : 65
- أهمية التداولية : 66
- مباحث التداولية : 68
- نظرية الحِجاج : 72

المبحث الثاني : تداولية النحو العربي 61

- النحو العربي بين الفكر التراثي والاستعمال اللغوي :..... 75

السمات التداولية للعلاقة الإسنادية :.....76

- التقاطع النحوي التداولي : 77

ظاهرة التعريف والتنكير والافتراض المسبق :.....79

العلامة الصوتية بين قصد المتكلّم وتفاعل المتلقي :.....81

- التداولية والبلاغة العربية :..... 82
- قيمة التقريب التداولي في دراسة العربية : 83

المبحث الثالث : تداولية النص عند البشير الإبراهيمي 84

(الجانب التطبيقي الثاني) 84

" العربية : فضلها على العلوم المدنية وأثرها في الأمم العربية " 85

- التقريب التداولي الصوتي في النص الإبراهيمي : ----------87

ملامح التنغيم :.....88

تعدّد الأفعال الكلامية في النص الإبراهيمي :.....90

الإحالات النصية في النص الإبراهيمي :.....91

- التحليل التداولي التركيبيُّ في النصّ الإبراهيمي :..... 94
- تداولية الأسلوب في النص الإبراهيمي : 95

الأساليب الإنشائية والخبرية : 96

خـــاتـــمة 98

ملاحـــــــق 109

المصادر والمراجع 107

أ) - قائمة الكتب :.....108

ب) - قائمة المجلّات :.....110

الفـــهـــرس 112

الملخّص ---------- 116

الملخص **:**

هدفت هذه الدراسة الموسومة ب" البعد الدلالي التداولي لقواعد النحو العربي بين الممارسة والإتقان" الى رصد أهم الجوانب التي تحيط بالنحو العربي مشيرة الى لزوم اعتمادها بغية تيسيره ،فتطرقت أولا الى تاريخ وضع النحو إضافة الى واضعه وأهم علمائه مع أسباب وضعه ، كما تطرقت الى أهم المناهج الحديثة التي ساهمت في نزع الغموض عنه، ثم انتقلت هذه الدراسة الى الحديث عن علم الدلالة ونشأته وأهم مباحثه ومخرجاته التي تعتبر جزءا لا يتجزء من النحو العربي مع رصد العلاقة بينهما ، مطبقة ذلك على أحد النصوص الأدبية تم فيه الإحاطة بأهم جوانب نقاط التلاقي ، وبعد ذلك انتقلت الدراسة الى الحديث عن البعد الآخر من الموضوع وهو التداولية ، حيث تناولت فيه التعريف بها وبنشأتها مع الغرب تارة والعرب تارة أخرى ، ثم جمعت بين النحو العربي والتداولية في مجموعة من نقاط التلاقي فتحدثت عن اهتمامات العرب القدامى بالبعد التداولي وغيره ،مطبقة كل هذا على أحد النصوص الأدبية أيضا ، حيث تم في هذا التطبيق استخراج أهم الأبعاد التداولية مما نحا إليه العرب ، متوصلة في الأخير الى مجموعة من النتائج والاستنتاجات .

الكلمات المفتاحية :

الدلالة، التداولية ، القواعد، الممارسة، الإتقان.

the summary :

This study, titled "The Semantic and Pragmatic Dimension of Arabic Grammar Rules between Prac-

tice and Mastery," aims to identify the key aspects surrounding Arabic grammar, emphasizing the necessity of adopting these aspects to facilitate its understanding. It first explores the history of grammar development, including its originators and prominent scholars, as well as the reasons behind its establishment. The study then delves into the modern methodologies that have contributed to clarifying ambiguities in Arabic grammar .Next, the research discusses the science of semantics, its origins, main topics, and outcomes, which are an integral part of Arabic grammar, highlighting the relationship between them. This is applied to a literary text to examine the key points of convergence .Following this, the study addresses the second dimension of the topic, pragmatics, by defining it and tracing its development in both Western and Arab contexts. It then integrates Arabic grammar with pragmatics, discussing the ancient Arabs' interests in pragmatic aspects and other related areas. This integration is also applied to a literary text, where the study extracts the main pragmatic dimensions that the Arabs focused on .In conclusion, the study arrives at a series of results and findings.

Keywords

Semantics, Pragmatics, Grammar, Practice, Mastery.

السيرة الذاتية

الاسم واللقب : بوداود نورالدين

تاريخ الازدياد ومكانه : 21 نوفمبر2001 بمستغانم

رقم الفوج : 01

رقم بطاقة التسجيل : 191937035652

المسار التعليمي :

1. درست في المدرسة الابتدائية لزرق محمد الشهايدية منصورة مستغانم ابتداء من سنة 2007 وأنهيت دراستي بها سنة2012

2. تابعت دراستي بإكمالية مجاهري عبد الله ينارو مستغانم و بعد أربع سنوات من الدراسة تحصلت على شهادة التعليم المتوسط سنة2016بنفس الاكمالية.

3. تحصلت على شهادة البكالوريا سنة 2019 بثانوية هواري بومدين منصورة مستغانم

الالتحاق بالدراسة الجامعية :

اسم الجامعة : جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم ،سنة الالتحاق2020 التخصص : لسانيات تطبيقية .

السنة الدراسية التي تحصلت فيها على الليسانس: 2021- 2022

سنة الالتحاق بالطور الماستر: 2022

موضوع المذكرة : البعد الدلالي التداولي لقواعد النحو العربي بين الممارسة وإلاتقان

الأستاذ المشرف: الأستاذ الدكتور بن عائشة حسين